الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

المرجع: .....

إشكالية الهوية في رواية -عائد إلى قبري لزكية علال انموذجا-

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: دراسات أدبية

التخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:
*- نوال بوثليجة
*- ياسمينة عبيد

إشراف الأستاذ :
د . علاوة كوسة

السنة الجامعية: **2019/2018**

شكر عرفان

الحمد لله وكفى, والصلاة والسلام على المصطفى سيدنا محمد

صلى الله عليه وسلم

نشكر الله ونحمده حمدا كثيرا مباركا فيه

يشرفنا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ الفاضل" علاوة كوسة"

على توجيهاته التي قدمها لنا وإلى أعضاء لجنة

المناقشة, لتفضلهم بالموافقة على مناقشة

هذه الرسالة وكلنا ثقة أن تغني ملاحظاتهم

السديدة الرسالة

والشكر موصول إلى كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي

إهداء

إلى أمي وأبي حفظهما الله

إلى أختي وإخواني

إلى خالتي

إلى كل من يعرفني

تضيق العبارة وتتسع الدلالة

ياسمينة

إهداء

إلى عائلتي الكريمة أمي وأبي -رحمه الله-

إلى أخواتي أميرة, حميدة, ياسمين, هالة, إلى عماتي

الذين قدموا لي يد العون وكانوا خير وجيه لي في

طريقي إلى صديقاتي وزميلاتي في المسار الدراسي

نوال

مقدمة

إشكالية الهوية من القضايا التي أثيرت وما تزال تثار في العالم وخاصة العالم العربي في عالم يشهد التفكك وفي زمن تتهدد فيها الهويات بالذوبان، ولأنها من المفاهيم التي تتسع لترتسم في أشكال متعددة لتشمل الإنسان(الأنا والآخر)، المكان، والتاريخ....

ولأن الرواية من أقدر الفنون على احتواء ونقل انكسارات الإنسان فقد استطاعت رواية "عائد إلى قبري" أن تطرح قضية تأزم الهوية بدءا من الموطن الأصلي إلى البلد المغترب، ولأن الهوية هو شعور بالانتماء وإن غاب هذا الأخير تحولت فيه(الهوية) من مفهومها الايجاب ي لتحمل مفهوما سلبيا تتجلى أقسى صوره في الاغتراب، فكان المزج بين هويتين في رواية واحدة معبرا عن هوية أمة واحدة لتحمل الجزائر هوية جرح الوطن في زمن العشرية السوداء ولتحمل العراق هوية حضارة مفقودة.

ولقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع "إشكالية الهوية" باعتبارها من أكثر المفاهيم تغلغلا في حياتنا، والتي أثارت اهتمام الكثير من الدارسين على مستوى العالم ولما تعيشه الهوية العربية خاصة من اضطراب.

أما سبب اختيارنا للرواية "عائد إلى قبري" فكان من أجل تسليط الضوء ورفع الستار على رواية جزائرية لم تحض بعناية كبيرة بالدراسة ومحاولة الفوز بأسبقية الدراسة لهذه المدونة المتميزة التي لم يسبق دراستها على حد علمنا.

أما الإشكالية التي طرحت نفسها: كيف طرحت زكية علال إشكالية الهوية من خلال روايتها عائد إلى قبري؟ وهل عكست الشخصيات الهوية من جهة وهل استطاعت أن تعيد من جديد الهوية الحضارية والتاريخية للإنسان العربي واستحضارها من جهة أخرى في خطابها الروائي؟

هذه الإشكالية تناسلت عنها مجموعة من الأسئلة:

-ما المقصود بالهوية؟ وماهي أهم مكوناتها؟

-ما علاقة الهوية بكل من التاريخ والمكان؟

-وهل المكان في الرواية عبر عن الهوية الضائعة؟ أم حمل بدوره ذاكرة عبرت عن هوية الشخصيات؟

-وهل الاغتراب في الرواية ورد بمفهومه الايجابي أم السلبي؟

-وللإجابة على هذه الأسئلة توصلنا إلى خطة كالآتي: مقدمة وفصلين وخاتمة وملحق

أما الفصل الأول: والذي عنوناه بضبط المفاهيم

فقد حاولنا من خلاله أن نزيل الغموض عن مفهوم الهوية لغة واصطلاحا وعلى الكثير من المفاهيم التي ارتبطت بالهوية وأحاطت بها الذات والآخر باعتبار أن الهوية تتمفصل بين الذات والآخر أي أن هوية شيء ما لا تظهر إلا من خلال الآخر، كما تطرقنا إلى أهم مكونات الهوية وعناصرها من تاريخ، ودين، وثقافة، ووطن. كما تطرقنا كذلك إلى علاقة الهوية بالاغتراب

أما الفصل الثاني والذي كان عنوانه: تجليات الهوية من خلال رواية عائد إلى قبري فقد قمنا بتمهيد عام للولوج إلى مضمون الرواية

فوقفنا في هذا الفصل على أهم تجليات الهوية من خلال الشخصيات لننتقل إلى علاقة الهوية بالمكان وكيف أصبح المكان معبر عن الانتماء الهوياتي، ثم تطرقنا إلى الاغتراب باعتباره أهم تجليات تزعزع الهوية وتشوهها، ثم تحدثنا عن علاقة الهوية بالذاكرة التاريخية وكيف يتقاطع التاريخ مع الهوية في الرواية

وقد أنهينا بحثنا بخاتمة كانت حوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها في هذا البحث ثم ألحقناها بملحق للتلخيص بالرواية والتعريف بالروائية

ومن أهم المصادر التي أضاءت بحثنا:

-1-أليكس ميكشيللي: الهوية

-2-حسن حنفي: الهوية

-3-إشكالية الأنا والآخر: ماجدة حمود

4-علي حرب: حديث النهايات، فتوحات العولمة ومآزق الهوية

كما فرضت علينا طبيعة بحثنا أن نعتمد على المنهج "السوسيو نصي"

وكغيرنا واجهتنا مجموعة من الصعوبات، لكن ذلت بفضل الله عز وجل

-وفي الأخير نتوجه بشكرنا واحترامنا لأستاذنا الفاضل "علاوة كوسة" الذي أشرف على هذا البحث وتعهده قراءة وتوجيها، ومساعدة ونصحا, وصبرا، حتى استوى على ماهو عليه والشكر موصول -كذلك- إلى أعضاء لجنة المناقشة التي تكبدت عناء قراءة البحث وتقويمه, فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

الفصل الأول: ضبط المفاهيم

المبحث الأول: رحلة البحث عن الهوية بين الذات والآخر

أ –تعريف الذات

ب– تعريف الآخر

المبحث الثالث: مكونات الهوية

أ–الدين

ب–اللغة

ج–الثقافة

د–التاريخ

المبحث الرابع: بين الهوية والإغتراب .

المبحث الأول:الهوية (identity)

مفهوم الهوية من المفاهيم القديمة وهي ظاهرة لصيقة بالإنسان لتزال تصاحبه بمآسيها إلى يومنا هذا.

يصعب توحيد مفهومها لأنه من المفاهيم الزئبقية التي يصعب الإمساك فيه بمفهوم ثابت لها ولأنه مفهوم عميق ينطلق أولا من محاولة إيجاد الانفتاح على الذات من كل نواحيها بدءا من خلال محاولة إيجاد جواب لسؤالنا من أنا؟ ولأنه مصطلح يتداوله الكثير من الباحثين في الكثير من المجالات ليشتمل الدين، الثقافة،الوطن،الذات...وغيرها.

"فقد تعرض مفهوم الهوية لانتقادات كثيرة ليس فقط لافتقاره إلى القوة التفسيرية بل للمفارقات السردية المتعلقة بمفهوم التي هي من سمات عصر العولمة المعاصرة، فلم يكن من الممكن أن تفهم على أنها تعبير عن التجانس الاجتماعي أو تمثيل للحقائق الثابتة" [1]. ولهذا تعد من القضايا التي تطرح نفسها بقوة على الساحة الفكرية.

1-مفهوم الهوية/لغة:

تعددت تعريفات الهوية من معجم إلى آخر فإذا عدنا إلى المعاجم القديمة نجدها تتباين من معجم إلى آخر.

في لسان العرب: "الهويٌ في مصدر هوىَ يهْوى في المهواة هويًا قال فأما الهويٌ المليئُ فالحين الطويل من الزمان تقول جلست عنده هويًا، والهويٌ:الساعة الممتدة من الليل ومضى هويٌ من الليل، على فعيل أي الهزيع منه"[2]

[1] عامر عبد زيد الوائلي: الدين والهوية، بين ضيق الانتماء وسعة الإبداع،سلسلة ملفات بحثية مؤمنون بلا حدود، دط، 2016 ،ص 8.

[2] محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب،ج15, إ.خالد رشيد القاضي، دار الصلح وايديسوفت، بيروت، ط1، ص161.

أما في معجم العين: "هوَىَ يهْوَى, هوىَ رجلٌ هوٍ ذو هوى مخامر وامرأة هَوية لا تزال تهوى على تقدير فعِلة"[1]

أما إذا رجعنا إلى المعاجم الأدبية الحديثة أو المعجم الفلسفي أو القواميس الحديثة فان المعنى العام للكلمة لا يتغير في جوهرها، الذي يحمل دلالة مجموعة من الصفات والمميزات التي نستطيع من خلالها تمييز فرد أو شيء عن غيره فنجدها تقترب من التعاريف الاصطلاحية المتداولة.

ففي معجم الوسيط: نجد مفهوم الهوية جاء بمعنى "حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره، بطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده، وعمله، وتسمى البطاقة الشخصية أيضا"[2]

المعجم الفلسفي: يعرفها الفارابي "هوية الشيء وعينيه، وتشخصه وخصوصيته، ووجوده المنفرد له كل واحد وقولنا إنه هو إشارة إلى هويته ووجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك"[3]

كما وردت الهوية عند الجرجاني في كتابه"التعريفات"بأنها"الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق"[4]

كما وردت في معجم مصطلحات الطب النفسي: بأنها"تعرف الشخص على نفسه, وقد ناقش اركسون هذا المصطلح في مقابل الخلط confusion أو الحيرة وقد تحدث مشكلات الهوية identity problems مرتبطة ببعض الاضطرابات النفسية أو كحالة مستقلة تسبب عدم وضوح الأهداف والقيم والطموحات وتعرف الشخص على هويته الجنسية وانتمائه للجماعة"[5]

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين،ج، دار الكتب العلمية، ط1، ص333.

[2] شعبان عبد العاطي وآخرون: معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط1،2004، ص1028.

[3] جميل صليبا: المعجم الفلسفي،ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط،1982 ، ص131

[4] الشريف علي محمد الجرجاني: كتاب التعريفات،دار الكتب العلمية، بيروت، دط,1990 ،ص257

[5] .لطفي عبد العزيز الشر بيري: معجم مصلحات الطب النفسي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، مركز تعريب العلوم الصحية، دط، ص80

2-مفهوم الهوية(اصطلاحا):

إلى جانب المفهوم الضيق للهوية فان كانت الهوية في أيسر تعريف هي مجموعة من السمات الخاصة بالفرد والتي تمنحه خصوصية تفرده والتي تصف جنسيته وشكله واسمه وتاريخه وتعكس ثقافته ودينه ولغته، يحمل في مقابل ذلك مفهوم أوسع وأعمق مما يجعل مهمة حصرها في مدلول واحد لا يجانب الصواب.

"فالهوية في معناها المجرد هي جملة من العلامات وخصائص من أجناس مختلفة تستقل بها الذات عن الآخر، فبغياب هذه العلامات والخصائص تغيب الذات وتذوب في الآخر وبحضورها تحظر"[1]

ينظر حسن حنفي إلى الهوية على أنها"صورة أو بطاقة لتعرف الآخر على الذات في البنوك والمؤسسات والمركبات والامتحانات, وكل ما يحتاج إلى التحقق من الشخصية. لها رقم وصورة وتاريخ ميلاد ومكان وتاريخ إصدار للإشارة إلى فرد بعينه، وانتحالها يعاقب عليها القانون"[2].

كما نجد أليكس ميكشيللي يعرفها في كتابه"الهوية" بقوله:"يطلق على نسق المعايير التي يعرف بها الفرد ويُعرِّف، وينسحب على ذلك هوية الجماعة والمجتمع والثقافة".[3]

كما نجد بول ريكور يعرفها من خلال ربطها بمجموعة من المعايير التي تحدد هوية شيء أو فرد فنجده يقول في كتابه"الذات عينها كالآخر" "إن تعيين شيء ما يعني القدرة على أن نجعل أحدهم يستطيع أن يعرف ضمن مجموعة أشياء خاصة من طراز واحد، والشيء الذي ننوي أن نتحدث عنه(...) تعيين الهوية في هذه المرحلة البدائية لا تعنى بعد تعيين هوية الذات عينها، ولكن تعيين هوية شيء ما"[4]

---

[1] رمزي منير بعلبكي وآخرون: اللغة والهوية في الوطن العربي، إشكالات تاريخية وثقافية وسياسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2013، ص5.

[2] حسن حنفي: الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2012، ص18.

[3] أليكس ميكشيللي: الهوية، تر:علي وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، ط1، 1993، ص7.

[4] بول ريكور: الذات عينها كالآخر، تر:جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2005، ص109.

نلتمس توافق في تعريف كل من حسن حنفي, أليكس ميكشيللي وبول ريكور, يحيلنا إلى معنى واضح وعام لمفهوم الهوية أي بمعنى: نسق أو مجموعة من المعايير المميزة التي تعبر عن تفرد الشخص وتمنحه خصوصية وانتماء، أي هي مجموعة من العناصر التي تميز فرد عن آخر والتي تمنحه هوية خاصة.

كما يتحدد مفهوم الهوية" بناء على الدلالة اللغوية والفلسفية والسوسيولوجية والتاريخية لهذا المصطلح ويقابل مصطلح"الهوية" العربي كلمة « identite »و« identiy » في الفرنسية والانجليزية وهو أصل لاتيني ويعني الشيء نفسه أو الشيء الذي هو ما هو عليه أي أن الشيء له الطبيعة نفسها التي للشيء الآخر، كما يعني هذا المصطلح في اللغة الفرنسية، مجموع الصفات التي تجعل من الشخص ماهو عينه شخص معروف أو متعين"[1].

أما إذا عدنا إلى مفهوم الهوية في عرف حضارتنا العربية الإسلامية فإننا نجدها مأخوذة من"هو...هو... بمعنى أنها جوهر الشيء وحقيقته المشتملة على اشتمال النواة على الشجرة وثمارها...فهوية الإنسان أو الثقافة...أو الحضارة وهي جوهرها وحقيقتها، ولما كان في كل شيء من الأشياء–إنسانا أو ثقافة أو حضارة(الثوابت والمتغيرات)–فان هوية الشيء هي ثوابته التي تتجدد ولا تتغير وتتجلى وتفصح عن ذاتها, دون أن تخلى مكانها لنقيضها طالما بقيت الذات على قيد الحياة !...فإنها كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيره"[2].

كما نجد محمد عابد الجابري يعرف الهوية على أنها:"تفرد شخصية مجتمع بمجموعة من الصفات والخصائص التي تميزها عن باقي هويات المجتمع الأخرى، والتي تشكلها عدة عناصر أهمها:اللغة والدين والعادات والتقاليد والقيم الأخلاقية"[3]

إذن قد تتحدد الهويات أيضا من خلال الانتماء إلى جماعة دينية، أو عرقية، أو ثقافية تحددها، فالهوية ليست قسرا على علامات شخصية في الفرد تعبر عنه وإنما هي تتشكل من عدة مكونات بدءا من العرق إلى التاريخ إلى الثقافة وانتهاءا بالوطن

---

[1] أحمد بعلبكي وآخرون: الهوية وقضايا في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2013 ص23.

[2] محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، نهضة مصر للطبلعة والنشر، القاهرة، ط1، 1999، ص6.

[3] محمد عابد الجابري: العولمة والهوية الثقافية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1999، ص100

-المبحث الثاني: رحلة البحث عن الهوية بين الذات والآخر

إن البحث عن الهوية حالة فطرية يعيشها الإنسان والتي تعد رؤية متأملة في خفايا الذات المتعلقة بجوهره والتي تشعره بوجوده، وتعد هوية الفرد تعبيرا عن انتمائه يحيا بحضورها وان غابت رأى نفسه منعزلا عن ذاته ومجتمعه حيث يصبح مجرد كائن، مجرد اسم، مجرد شيء لا دلالة له ولا تظهر هوية ذواتنا إلا من خلال نظرة الآخر إليها، لأن نفينا للآخر هو نفي لذواتنا بصورة أخرى ولهذا فان البحث عن الهوية يحتم علينا دراسة الذات أو الأنا في ثنايا الآخر، فالآخر"في أبسط صوره هو مثيل، أو نقيض للذات أو الأنا، إذ لا يمكن الحديث عن الآخر بمعزل عن الذات "[1] ولأن هوية الفرد أو الجماعة تتحدد من خلال الإجابة عن مجموعة من الأسئلة التي كثيرا ما تؤرق فكرنا"من ذلك الفرد، أو هذه الجماعة أو هذه الثقافة؟ ويمكن للإنسان المعني نفسه بالسؤال أن يجيب ! إذ يمكن أن يحدد لنفسه صورة هويته وذلك هو نمط الهوية المعلنة ذاتيا، كما يمكن الإجابة أن تعلن بوساطة أحد الشركاء أو تلك هي الهوية المعلنة بوساطة الآخر "[2].

فالذات غامضة بدون الآخر غالبا ما يغيب إحساس الذات بجوهرها الفردي إلا من خلال إثبات الآخر لها فاستخدام كل منهما يستدعي تلقائيا حضور الآخر وهذا للعلاقة التلازمية بين المفهومين، ولأنه "لا يوجد تطابق تام بين مايعتقده الأفراد عن أنفسهم وبين مايراه الآخرون عليه(الهوية الفردية) ربما تختلف عن (الهوية الجماعية)"[3]

ولأن الذات والآخر حاضران دائما في إشكالية الهوية سنحاول إزالة الغموض عن هذين المفهومين.

---

[1] سامي الوافي: المثاقفة النقدية وسؤال الهوية، تفاعل الذات بالآخر، مجلة الآداب،ع2، 2014، الرياض، ص4.

[2]. أليكس ميكشيللي :الهوية، ص95.

[3] هارلمبس وهولبورن: سوسيولوجيا الثقافة والهوية، تر:حاتم حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1 2010، ص13.

1-الذات:

عرف مفهوم الذات تطورا كبيرا باعتباره العلم الذي يسعى إلى معرفة الذات ويبحث في أغوارها إذ أنها متجدرة في القدم فكان البحث عنها يتجسد بدءا من القول المأثور:"أنا أفكر إذن أنا موجود"والتي تعد تأملات فلسفية لأغوار النفس إذ"ارتبط مفهوم الذات قديما بمفهوم النفس أو العين أي بمفهوم الجوهر والماهية والحقيقة فذات الشيء نفسه وعينه، أي في حقيقته وماهيته"[1].

ويأخذ مفهوم الذات عدة مفاهيم محايثة لها كالأنا والنفس والفرد والشخص وغيرها فنجد الجرجاني يعرف الذات بقوله:"قيل ذات الشيء نفسه وعينه" [2].

كما ورد مصطلح الذات بمعان عديدة لدى عدد كبير من المفكرين سواء في الفلسفة أو في علم النفس أو في علوم اجتماعية وإنسانية وذلك باختلاف تعريفه من باحث لآخر فكل باحث يطوعه حسب مجال تخصصه.

ففي علم النفس نجد عالم التحليل النفسي سيغموند فرويد لم يشر إلى مصطلح الذات صراحة إلا أنه جعل له مقابل"كما يبدو إن كل من الهو، والأنا والأنا الأعلى هي مشابهات للذات إذ تقابل "الهو"الذات الغريزية، وتقابل"الأنا" الذات الواقعية وتقابل"الأنا العليا"الذات المثالية ولاسيما أصلا إن الذات تنشأ أصلا من الأنا"[3] كما حاول يونغ أن يسير على نهج أستاذه لكنه ارتقى بمفهوم الذات إلى معنى أكثر إشراقا "والذات في ضوء تميزات يونغ هي مانطمح إليه جميعنا إنها الاكتمال والتحقق والوجود"[4].

أما في علم الاجتماع فيختلف مفهوم الذات في نظر علماء الاجتماع عن مفهومه عند علماء النفس يقول عباس يوسف الحداد "في علم الاجتماع يرتبط مفهوم الأنا بالهوية الفردية

---

[1] عبد الواسع الحميري: الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1 1999، ص12.

[2] الجرجاني: كتاب التعريفات، ص112.

[3] حميد عبد المجيد البطاط: جدلية الذات والآخر في شعر سجون العصرين الأموي والعباسي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الآداب، جامعة البصرة، 2011، ص5

[4] صالح سعد: الأنا والآخر، مجلة عالم المعرفة، ع274، جانفي، 1978، ص9.

أوتصل الشخص لذاته وخصائصها المعرفية ومكوناتها الفكرية والاجتماعية من قيم وتقاليد موروثة أو مكتسبة كتعبير موسع للأنا عن الهوية الجمعية"[1].

أما إذا رجعنا إلى الجانب الديني فهو أيضا قد أسهم في بلورة وتكوين مفهوم شامل عن الذات وهذا ما نجده عند كثير من علماء الدين وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد ابن سينا يرى الذات على أنها "الصورة المعرفية للنفس البشرية"[2] أما الغزالي فقد ربط مفهوم الذات بالنفس من خلال تقسيمها فيقول:"إن النفس خمس واجهات: النفس الملهمة، النفس اللوامة،النفس البصيرة، النفس المطمئنة والنفس الأمارة بالسوء، اعتبر الأربع منها حميدة بينما الخامسة غير حميدة"[3].

2-الآخر:

إن الإنسان اجتماعي بطبعه لا يمكن أن يعيش بمعزل عن الآخرين وهذا ما أكده عالم الاجتماع ابن خلدون بقوله: "الإنسان اجتماعي بطبعه"

ولقد ورد مصطلح الآخر بمعان كثيرة وعديدة لدى الكثير من الباحثين كل حسب مجال تخصصه(علم النفس، علم الاجتماع...)، فنجد الآخر هو المضاد للذات كما ورد في موسوعة لالاند بقوله: "هو أحد مفاهيم الفكر الأساسية ومن تم يمتنع تعريفه فهو نقيض الذات ويقال على كلمات شتى "مختلف" أو حول "رؤية ذاتية"[4].

كما نجد سعد البازعي يقدم لنا الآخر ضمن سياقين:سياق معرفي لا تحدد هوية الذات إلا من خلاله, وسياق قيمي وذلك من خلال تقييمه وبالتالي تقبله أو ترفضه "السياق الأول معرفي وعلى ضوءه يبدو "الآخر"مفهوما تكوينيا أساسيا للهوية، أي للذات وهي تحدد هويتها فلا هوية بدون آخر(...) أما السياق الثاني فهو سياق قيمي يكسب الآخر من خلاله

---

[1] حاتم زيدان والعيد جلولي: جمالية المراوغة والتوظيف الضمائري للأنا والآخر عبر اللغة الشعرية، دراسة قصائد مختارة من ديوان مسقط قلبي لسمية محنش، مجلة الأثر،ع29، 2017، الجزائر، ص198.

[2] سامي الوافي: المثاقفة النقدية وسؤال الهوية، ص61.

[3] نفسه: ص61.

[4] أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب احمد خليل، مج1، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001، ص50.

قيمة أو موقعا في سلم تراتيبي يكون من خلاله مقبول أو مرفوضا طيبا أو سيئا" [1] لهذا فلا يجب الوقوع في خطأ الفهم الضيق للآخر وإنما قراءته باختلافه.

ويتحدد مفهوم الآخر بتعريف شاكر عبد الحميد بقوله: "قد يكون أحد الأفراد وقد يكون جماعة من الجماعات أو أمة من الأمم، فالآخر قد يكون قريبا وقد يكون بعيدا وقد يكون عدوا يفكر في أنسب الوسائل للتعامل معه" [2] فلا يأخذ الآخر دائما ذلك المفهوم الذي انطبع في أذهاننا وهو الآخر المختلف عنا في كل شيء والذي يعد عدوا لنا فتسقط عنه تلك الصفة العدوانية ليشترك مع الذات في إنسانيتها فيبرز الآخر الإنساني "هو مفهوم نسبي ومتحرك ذلك إن الآخر لا يتحدد إلا بالقياس إلى نقطة مركزية وهي الذات، وهذه النقطة المركزية ليست ثابتة بصورة مطلقة, فقد يتحدد الأخر بالقياس إليه كفرد ا والى جماعة معينة قد تكون داخلية كالنساء بالقياس إلى الرجال والفقراء بالقياس إلى الأغنياء أو خارجية بالقياس إلى المجتمع بصورة أعلم " [3] فالآخر إذن هو المختلف عن الذات سواء أكان من ناحية الشكل(المرأة في مقابل الرجل) أو ضمنيا من حيث الدين، العرق.....

يعرف أيضا مصطلح النجار الآخر أو الآخرون بقوله:"بأنهم فرد أو جماعة لا يمكن تحديدهم إلا في ضوء مرجع هو الأنا، فإذا حددنا هوية الأنا كان الآخر فردا أو جماعة يحكم علاقته بالأنا عامل التمايز وهو تمايز إطاره الهوية أحيانا والإجراء في أحيان أخرى"[4]

أما إذا رجعنا إلى الآخر في مفهومه الإسلامي فإننا نجده يتحدد في غير المسلم في المجتمع الإسلامي وهذا في مفهومه الضيق، أما إذا رأيناه في زاويته المنفتحة فإننا نرى الذات أكثر انفتاحا على هذا الآخر مهما كان عرقه أو دينه أو عرفه فلا يحمل تلك النظرة السلبية بل انفتح ليشمل نظرة ايجابية وهذا ما جاءت به تعاليم الدين الإسلامي فقد جاء في القران الكريم

---

[1] سعد البازعي: الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2008، ص37.

[2] عمر عبد العالي علام: الأنا والآخر الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2005، ص12.

[3] نادر كاظم: تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1،2004، ص20.

[4] مصطلح النجار وآخرون: الدراسات الثقافية والدراسات مابعد الكولونيالية، الأهلية، الأردن، ط1، 2008، ص51.

يأيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾فمفهوم الآخر اتسع فلم يعد هو "المختلف في الجنس أو الانتماء الديني أو الفكري أو العرقي"[1] أي الرجل في مقابل المرأة والمسلم في مقابل غير المسلم والغرب في مقابل الشرق والأبيض في مقابل الأسود، بل أزال ذلك الرسم النهائي لهذا الآخر الذي طالما رسمنا له حيزا مغلقا يمنعنا من استيعابه والانفتاح عليه ليتسع هذا المفهوم ويشمل كل ماهو غير الذات.

[1] ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر، نماذج روائية عربية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، ع398، 2015، ص19.

أنواع صور الآخر في الروايات العربية:[1]

تختلف صور الآخر في الرواية العربية من روائي إلى آخر حسب ما تمليه عليه نظرته النفسية والإيديولوجية أو الدينية, فظهر الآخر في الرواية العربية مرة يحمل جانبا سلبيا ومرة أخرى بصورة ايجابية وهذا المخطط يمثل صور الآخر في الرواية

1 جميل حمداوي: مستجدات النقد الروائي، ط1، 2011، شبكة الألوكة ينظر www.alukah.net

-المبحث الثالث: مكونات الهوية

لايمكن للهوية أن تتشكل بمعزل عن مجموعة من العناصر القابعة في أعماق الذات التي تنمي فيه أواصر الشعور بكيانه بوحدته وبانتمائه فالهوية ليست شيء يكتسب دفعة واحدة إنما هي جوهر يوجد بوجود الفرد تكبر معه عبر الزمن لتلازم معالم روحه "فحين يحس المرء بأن ثمة ما يهدد وجوده يسرع إلى تأكيد ذاته باحثا عن شيء أصيل كامن في أعماقه، يركن إليه، كي يحس الثقة والأمان والقوة لمواجهة الخطر، وبذلك تتشكل الهوية في أدغال الذات حيث تتجسد عبر انتماءات ومكونات تتعلق بالجنس والعمر والطبقة الاجتماعية والموروث الثقافي"[1].

وبالتالي هل مكونات الهوية تجعلنا نرسم حيزا منغلقا لتلك الهوية، بحيث تجعل الذات تتقوقع داخلها وترفض أن تنفتح خارجها؟

وهل يجب على الذات أن تتعامل مع هذه المكونات باعتبارها جوهرا ثابتا لا يجب المساس به؟ أم يجب عليه أن "يتجاوز هذه الرؤية المنغلقة، ويبتعد عن التعامل مع مكونات هويته القومية بصفتها جوهرا ما ورائيا أو عنصرا نقيا أو بنية ثابتة أو حقيقة متعالية أو شعارا مقدسا، وبذلك يجرها من إطارها الجامد, وينظر إليها بصفتها شرطا يمكن تغييره "[2].

وبهذا فمكونات تحديد الهوية تختلف من باحث إلى آخر فنجد مثلا محمد الهرماسي يرى في "الدين واللغة والثقافة هي أبرز مكونات المشكلة للهوية " [3] وهي نفس المكونات التي يؤكد عليها أيضا محمد ولد خليفة بقوله "ويمثل الثلاثي المتكون من اللغة والدين والثقافة المرجعية الأساسية والحدود السيكولوجية للجماعة وشخصيتها القاعدية "[4].

لكن إذا رجعنا إلى حسن عالي نجده يحدد عناصر الهوية كالتالي:

---

[1] ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر، نماذج روائية عربية، ص18.

[2] نفسه: ص19.

[3] محمد الهرماسي: مقاربة في إشكالية الهوية المغرب العربي المعاصر، دار الفلك، دمشق، دط، 2001، ص27.

[4] محمد العربي ولد خليفة:المسالة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2003 ص109.

"تتكون الهوية من عناصر مهمة قد تتشكل الهوية من بعض هذه العناصر هي:

1-الدين

2-الثقافة:وتشمل

ا-اللغة

ب-الفن والفلكلور الشعبي

ج-القيم والعرف"[1]

إذن يعد الدين والعرف والثقافة والتاريخ من أبرز المكونات التي تقوم عليها الهوية حسب رأي كثير من الباحثين وسنقوم بتفصيل كل واحدة على حدة.

[1] حسن عالي:الهوية ودورها في البناء الفكري. www.swmsa.net

1-الدين(الهوية الدينية):

خلق الله تعالى الإنسان ولم يتركه هائما على وجهه في هذا العالم بل جعل له منظومة من العقائد والأحكام والأخلاق والتي تندرج جميعها تحت مسمى الدين أو التدين والذي "هو فطرة في الإنسان، وهو جزء من كيانه ووجوده مثل بقية الغرائز التي تتكون منها النفس مند خلقت البشرية وحتى تقوم الساعة " [1] فهو مجموعة من المبادئ التي تبين توجه الفرد أو الجماعة إلى عقيدة معينة والتي تظهر من خلال مجموعة من العادات والقيم وحتى الطقوس فلا وجود لمجتمع يخلو من الدين وكل دين يحتوي على معتقد وطقس وإلا أضحى مجرد فلسفة فهو نزعة أصيلة ملازمة للناس جميعا

إذ إن انتماء الشخص إلى دين معين وتطبيق قواعده هو الذي يحدد هويته الدينية(انتمائه الديني=هويته الدينية) والتي تعد من أكبر الانتماءات التي يحاول المرء التمسك بها وعدم المساس بها لما لها من تقديس في وجدان الفرد حتى إن الهوية الدينية تكون أسبق من الهوية الوطنية ولأن ما قد يحدثه الاختلاف من تناقضات في الدين مع الآخر(رفض) قد لايحدثه إذا ما تعلق الأمر بوطن ما (قبول) ولأن "الهوية ذات معنى مزدوج فهي داخلية (internal)بمقدار ما نعتقد حول هويتنا وخارجية (external)تتعلق بالطريقة التي يرانا فيها الآخرون والهويات تتكون وتستقر وفق علاقات متداخلة بين هذه العوامل الداخلية والخارجية"[2].

فكثير من الباحثين يرون ضرورة فصل الدين عن مسارهم العلمي والسياسي والاجتماعي وغيرها ويرون أن سبب تقدم الغرب وتطورهم هم أنهم لم يجعلوا من الدين مسار وجودهم بل قاموا بفصل الدين باعتباره نظرية بالنسبة لهم وبين مسلكه العام في الحياة كتطبيق ونجد

أمارتيا صن يقول عن الهوية الدينية "لا ضرورة لأن تكون ديانة المرء هي كل هويته على

[1] محمد الزحيلي: وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، دط،1991، ص32.

[2] هارلمبس وهو لبورن: سوسيولوجيا الثقافة والهوية، ص106.

وجه الحصر والإسلام بشكل خاص كديانة لا يلغي الاختيار المسؤول للمسلمين في كثير من مجالات الحياة"[1].

وقد نتج في السنوات الأخيرة صراع في الديانات داخل الأمة الواحدة أو المجتمع الواحد ولقد استثنى "برتراند راسل الإسلام في واقعه التاريخي أو بعضه حين يقر بأنه لم يكن كذلك في الأندلس مثلا ويدل هذا الاستثناء على مستحيل الإلغاء الديني، وعدم كفاية البدائل العقلية المحضة لعالم الإنسان وفضائه الثقافي الاجتماعي، فليس الدين هو هذا الشر المطلق، وليس العقل هو الإله البديل" [2] ولهذا فهويتنا الدينية والإسلامية على وجه الخصوص هي انتمائنا الوحيد والمعبر عن استمرار تاريخنا العريق وان عرفت هذه الهوية الكثير من الهجمات فما كان على المسلمين إلا الانتفاض لمن يريد التعرض لها لأن "الإسلام بنظامه الشامل ونظرته الكلية الجامعة الذي فهمه بكل وضوح وتحديد صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم والدي تمثله صحابة رسول الله، والذي طبقه وعمل به وإلتزمه المسلمون والعلماء والعاملون عبر التاريخ"[3] أي أن كل أمة تعد تراثها الديني هوية كاملة لها تعبر عن ماضيها وحاضرها ومستقبلها.

[1] أمارتيا صن: الهوية والعنف، تر:سحر توفيق، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط،2008 ص16.

[2] الحاج دواق:الدين والهوية، بين ضيق الانتماء وسعة الإبداع، سلسلة ملفات بحثية مؤمنون بلا حدود، الرباط، دط، 2016، ص126

[3] محمد الزحيلي: وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، ص23.

2-اللغة(الهوية اللغوية):

ترتبط الهوية باللغة ارتباطا وثيقا حتى إننا نحدد هوية شخص من خلال لغته وهي الأداة الأساسية التي يتفاهم بها الإنسان مع أبناء وطنه وأمته كما أنها الوسيلة المضمونة للاطلاع المباشر على تراث الأمة الثقافي والحضاري ولأن اللغة تحمل في طياتها تاريخا معبرا عنها تحدد انتماء الفرد إلى جماعة أو أمة أو حضارة ما تشاركه اللغة نفسها لكن من السذاجة أن نعتبرها ماهي إلا وسيط للتواصل والتخاطب فهي تتجاوز هذه الوظيفة لتصبح نسقا معبرا عن هوية وطنية حيث نجد الشريف كرمة يعرفها "إن اللغة فكر ووجدان وإرادة تتجلى في المهارات وتؤدي وظائف التفكير والتعبير والتواصل"[1]

فاللغة يعدها الكثير الوعاء الذي يحمل الموروث الثقافي والذي نتوارثه أبا عن جد "فاللغة أقدم تجليات الهوية أو لنقل:هي التي صاغت أول هوية لجماعة في تاريخ الإنسان إن اللسان الواحد هو الذي جعل من كل فئة من الناس جماعة واحدة ذات هوية مستقلة"[2]

واللغة اليوم تقف أمام مجموعة من التحديات التي تتأثر فيها هذه الهوية بلغات أخرى سلبا أم إيجابا ولنأخذ على سبيل المثال العربية لما حظيت به هذه اللغة من اهتمام وبوصفها هويتنا العربية والوطنية والقومية ولما تحمله هذه اللغة من قداسة أضفاها عليها القران الكريم

قال تعالى:" **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ (103)**.

ولعل ما يهدد هويتنا اللغوية هي ذلك التأثير الكبير باللغات العربية مع النظرة الدونية للغة الأم وليس الإشكال في تلك اللغات لما لها من مزايا ولما لنا من حاجة إليها بشكل ملح في كثير من الأحيان بقدر ماهو في الإهمال الواضح للعربية فأصبحت أمة "لا تستطيع الاعتزاز

بلغتها الوطنية والانتماء إلى الحقل الثقافي الذي تنتجه تلك اللغة ذلك إن أبسط ماسينتهي

[1] الشريف كرمة: اللغة العربية وعلاقتها بالهوية www.annales.univ-mosta

[2] محمد عبد الرضا شياع: اللغة هوية أم ثقافة جدلية العلاقة بين الذات والآخر مجلة الكوفة، ع4، 2013، ص168.

إليه المتخرج في ذلك النظام التربوي هو أن اللغة العربية لا تستطيع أن تكون لغة العلم والتعلم وبالتالي فهي لغة قاصرة, وإن البديل تجسده اللغة الفرنسية "[1]

إن ما تعيشه هذه اللغة من اضطراب في محاولة صد كل ما يهددها يجعلنا نقف أمام مجموعة من التساؤلات "إذا كان هذا شأن اللغة عموما إزاء الهوية، فهل يستمر الوضع نفسه في حال دخول لغة أخرى غريبة عن ذات الهوية" في مجالها السيادي من باب التعليم أو البحث العلمي؟هل تستطيع الهوية مقاومة التأثيرات السلبية للغة الوافدة؟كيف يمكن تسوية هذا الاضطراب الهوياتي؟هل بإقصاء اللغة الوافدة والانغلاق على الذات أم الاستيعاب العقلاني لها"[2] ولهذا وإن كان التداخل بين العربية واللغات الأجنبية حاجة حتمية تفرضها علينا الحياة اليومية، تبقى حمايتها مسؤولية ملحة وحتى لا تلبس ثقافتنا القومية عباءة ثقافة أخرى وبالتالي فالأمة التي تسعى إلى تغيير لغتها هي أمة تريد أن تنفك من أصالتها "فالكلام بلغة أخرى ليس قولا لأفكارنا بكلمات أخرى, لأنه تفكير آخر في الوقت ذاته تفكير في شيء آخر "[3]

وإن كان يرى البعض أن مايهدد هويتنا اللغوية ليست اللغات الأجنبية وإنما اللهجات العامية وما تحدثه من خلل في انتمائنا اللغوي "إن اللهجات العامية في الأقطار العربية مختلفة إلى الحد الذي لا يستطيع الإنسان المشرق العربي مثلا فهم لهجة الإنسان العربي الجزائري أو المغربي, وهذا معناه إن إبدال الفصحى بالعامية عملية تهدف إلى تجزئة الأمة الواحدة إلى كيانات لغوية متباينة تعمل على إعاقة تحقيق الوحدة العربية وتقطيع الصلات والوشائج التي وإن كان البعض يرى في هذه اللهجات تنوع لغوي [4]تكونت عبر الزمن بفضل اللغة الواحدة" في الوطن الواحد وإن التعمق فيها أمر شديد الثراء كا الأمازيغية,الشاوية,الترقية....الخ والخطر يكمن في تلك اللهجات التي تخرج عن الكلمات الفصيحة إلى ألفاظ عربية محرفة والتي تفتقر إلى هوية معجمية وقواعد ثابتة مثل ما يحدث مثلا في كثير من اللهجات ومن اللهجة المصرية فمثلا "فقد فقدت اللهجات المصرية بعض الأصوات العربية القديمة أمثال

[1] رمزي منير بعلبكي وآخرون: اللغة والهوية في الوطن العربي، ص376.

[2] نفسه: ص53.

[3] نفسه: ص122.

[4] فريدة شهرستاني: صلة اللهجات المعاصرة بالفصحى وأثرها فيها،ع11، فصيلة دراسات الأدب، سنة ثالثة، ص38.

الثاء، الذال، الظاء، والقاف واستبدلت بها على الترتيب التاء,الدال,الضاء,الهمزة,أو *الجيم(...)* فإذا انحرف الطفل في الكلام بلهجة أبيه لم يجد من يعنى بتصحيح هذا الانحراف والإبقاء على صورة معينة في الكلام. فأخذت اللهجة مجراها الطبيعي وتغيرت جيلا عن جيل"[1] فأصبحت محاولة استرجاع لغتنا الأصلية أهم الأهداف في استرداد الهوية والتي كثيرا ماسعى الاستعمار القضاء عليها يقول عبد السلام المسدي "إننا أمة لا ننفك نعمل على ضياع هويتنا اللغوية "[2]

"واستطاعت اللغة العربية أن تنجح في البقاء والمقاومة والاستمرار طوال قرون عديدة تخللتها فترات ضعف بعد أن حرصت القوى الاستعمارية الكبرى على نشر لغاتها في البلاد المستعمرة فخلقت الفرانكفونية والأنجلوفونية، وكان أول شيء حرصت عليه هو القضاء على اللغات الوطنية كما حدث في الجزائر مع اللغة العربية عندما حاولت فرنسا محوها لصالح الفرنسية"[3]

ومع هذا تبقى هذه اللهجات العامية تعود في أصلها إلى الفصحى وان كانت ظروف الحياة هي التي أنتجتها لتساير طبيعة حياتهم والتعبير عنها بكل سجية وتلقائية لا تقيدهم أي قواعد لغوية أو نحوية.

---

[1] مرجع سابق: ص42

[2] عبد السلام المسدي: الهوية العربية والأمن اللغوي، دراسة وتوثيق إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بيروت، ط1، 2014، ص198.

[3] حسن حنفي: الهوية، ص69.

-الثقافة (الهوية الثقافية):

حظيت الهوية الثقافية بدراسة واهتمام كبير باعتباره موضوع أصبح يؤرق الكثير من الباحثين ولاعتبار أن "الهوية في مفهومها الشامل قيمة جوهرية في حياة الإنسان بوصفه كائنا ثقافيا قبل أن يكون كائنا بيولوجيا "[1] بحيث يتعذر الفصل بين الثقافة والهوية إذ إن ما من هوية إلا وتختزل ثقافة وقد تتعدد ثقافات في الهوية الواحدة كما أنه قد تتنوع الهويات في الثقافة الواحدة ونجد ادوارد تايلور يعرف الثقافة على أنها "كل مركب على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف, وغير ذلك من الإمكانيات أو العادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع"[2] إذ أن الثقافة هي بمثابة روح الهوية.

وتتحدد ثقافة أي شخص أو أمة من خلال مجموعة من العناصر التي تعد مؤشرا هاما للتعبير عنها(الدين، اللغة، الانتماء...) إذ إن التنوع في هذه العناصر في بيئات اجتماعية مختلفة هو الذي ينتج التنوع الثقافي "فالحكم على شيء ما لا يتم انطلاقا من معيار واحد,بل وعلى الأغلب من مجموعة من المعايير الثقافية, وذلك يعني أن هناك خلف كل هذه المظاهر الاجتماعية الشكلية(الملابس) عناصر ثقافية هامة مثل كيفيات السلوك والعادات الجسدية والصوت والنظرة"[3] فتحدد الثقافة استنادا إلى عادات وتقاليد التي يمارسها أفراد من مجتمع ما فمن خلال التصرفات والسلوكات التي اعتادها شعب ما عن غيره من الشعوب مثلا في طريقة المأكل أو الملبس وحتى في طريقة تشييد المباني، وقد يعد انتهاك هذه التقاليد والمساس بها شيء يهدد المجتمع فمثلا نحدد الهوية اليابانية, من خلال اللباس والزي التقليدي الياباني، أو من خلال طريقة أكلهم، أو مثلا العمامة التي يرتديها سكان الجنوب في الجزائر أو الكوفية التي يتميز بها سكان الخليج والتي تعبر عن تاريخهم وهذا مايؤكده حسن حنفي في قوله "لكل مجتمع ثقافته الخاصة التي تكونت لديه من العادات والتقاليد والتراث الشعبي والمعارف التجريبية التي استقرت في وجدان المجتمع وأصبحت الأجيال القديمة

[1] عبد السلام المسدي: الهوية العربية والأمن اللغوي، ص199.

[2] لطيفة إبراهيم خضر: هويتنا إلى أين؟عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2009، ص30.

[3] أليكس: ميكشيللي: الهوية، ص31.

تسلمها بدقة وأمانة للأجيال الحديثة" [1] أي لا يمكن تصور مجتمع بدون ثقافة فهي جزء لايتجزء من بيئة حياة الإنسان ويمكن وصفها بأنها طريقة أو أسلوب ينتهجه شعب ما ويعيش على أساسه

"فالهوية الثقافية هي معرفة وإدراك الذات القومية ومكوناتها من قيم وأخلاق وعادات وتقاليد ودين، وهي السمات والخصائص التي يتميز بها شعب ما عن غيره من الشعوب وترتبط هذه السمات بالسلوكيات العامة لمجموع الأفراد والعلاقات السائدة والمنتج الفني والثقافي, والتي تميز في مجموعها هذه الجماعة أو هذا المجتمع"[2]

والهوية الثقافية اليوم لم تصبح كيانا ثابتا وإنما هي كينونة متحركة تعيش التطور وهذا لما أحدثته اليوم العولمة من زعزعة في القيم الثابتة واليقينيات القديمة للأشياء لما يعيشه الإنسان اليوم من صراع كبير بينه وبين ذاته حول العودة إلى الحضارة السابقة والتي تعتبر بالنسبة إليه أسمى معاني الهوية الضائعة أو إلى العالم والواقع الذي يعيشه أم الانفتاح على عالم جديد هذا العالم اللآخد في البناء والتشاكل والمعبر عن عالم الثقافة والعولمة "وهذه العوالم الثلاثة التي تتجاذب الوعي بالهوية المجتمعية والثقافية وتؤلف ما يمكن تسميته ثالوث القدامة والحداثة وما بعد الحداثة أو بصيغة أحدث ثالوث الأصولية والعالمية والعولمة. وفي المجال العربي تسميته الثالوث الأسلمة والأنسنة والعولمة"[3].

وإن كان يرى البعض أن العولمة هي مايهدد هويتنا الثقافية لأنها تقضي على التنوع الثقافي في المجتمع (الدين ، العادات، التقاليد، الثقافات....) وتحيل هذا العالم إلى قرية صغيرة يغيب فيها التنوع ويحضر شيء من التماثل الحضاري تغيب فيه خصوصية ثقافة مجتمع ما والذين يرون في العولمة غزو يسعى إلى تحطيم القيم والهويات التقليدية في الثقافة الوطنية وإحالة محلها نموذج ثابت للثقافة في العالم أما البعض الآخر يرى فيها مظهر من مظاهر التطور الحضاري يجب مسايرتها إذ أنها لا تسعى إلى إقصاء هويتنا بقدر ماهي إنماء لها وان دورنا لا يتحدد في ردع ومقاومة هذا الغزو الثقافي الغربي بقدر حاجتنا إلى اكتساب

---

[1] حسن حنفي: الهوية، ص71.

[2] منير حجاب: الموسوعة الإعلامية، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003، ص2609

[3] علي حرب: حديث النهايات، فتوحات العولمة ومأزق الهوية، ا لمركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2004، ص12.

المعارف من أجل الولوج إلى عالم العلم والمعرفة وإعادة تشكيله وفق ما يخدم خصوصيتنا الثقافية "فمشكلة هويتنا الثقافية ليست في اكتساح العولمة والأمركة على ما نظن ونتوهم، بل في عجز أهلها عن إعادة ابتكارها وتشكيلها في سياق الأحداث والمجريات، أو في ظل الفتوحات التقنية والتحولات التاريخية أي عجزهم عن عولمة هويتهم وأعلمة اجتماعهم وحوسبة اقتصادهم وعقلنة سياساتهم وكوننة فكرهم ومعارفهم"[1]

[1] مرجع سابق: ص25.

-التاريخ(الهوية التاريخية):

يعد التاريخ حاضنة قوية لمجمل عناصر الهوية, وفيه نعثر على جميع الحلقات المرتبطة بشخصية الأمة وهويتها فهو لا يقل أهمية عن اللغة والدين والثقافة باعتباره حضارة الأمم,وبهذا "فليس التاريخ مجرد وقائع تروى وأحداث تسرد, ولكنه في حقيقته وجوهره سريان الماضي في الحاضر بما يعنيه هدا السريان من الوعي بالإطار الثقافي لهذا التاريخ والذي يبلور، ويكرس بأن الانتماء العقدي والفكري لأمة"[1] يجسده تاريخها، وفي نفس السياق نجد مرتاض يقول:"ولما كانت أهمية التاريخ عظيمة ذات شأن، فان الأمم تفرغ إليه في تبين شخصيتها الوطنية عبر الأزمان السحيقة, والأحقاب البعيدة"[2] هنا يمكننا أن نؤكد على الأهمية التي يحظى بها التاريخ بالنسبة للأمم والشعوب، فلا يمكن تصور أمة بدون تاريخها فيخطأ من يعتقد أن التاريخ سجل ميت، فهو بمثابة الفضاء الذي تعود إليه الأمم كلما تاهت واختلت موازينها لتتبين حقيقة شخصيتها الوطنية لذلك يقول حسن هيكل "لا حياة لأمة إلا بإحياء ماضيها"[3] فالتاريخ هو مرآة الأمم، على صفحاته ينعكس الماضي ويتجسد الحاضر، ومنه يستشرق المستقبل، التاريخ هو كل لحظة تركناها وراءنا، بحملها ومخاضها ونتاجها، التاريخ هو ذاكرة الأمم، ولا حاضر ولا مستقبل لأمة دون ذاكرة وهذا ماتعيه الشعوب المتحضرة التي توليه أهمية بالغة، وتعطيه مكانة مقدسة فلا جدال بأن التاريخ مكون أساسي ومهم من مكونات الهوية الجماعية لأي شعب، فمن ذهب تاريخه ذهبت هويته، وللتأكيد على الأهمية التي يحظى بها التاريخ في تشكيل هوية الجماعة نجد الشيخ عبد الرحمن

---

[1] حسن الوراكلي: المسلمون وأسئلة الهوية، جمعية البعث الإسلامي، دط، 2000، ص70.

[2] عبد المالك مرتاض: أصالة الشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ع8ماي-جوان الجزائر، 1972، ص217.

[3] عبد الرحمن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص11.

الجيلالي يورد على لسان عبد الرحمن صدقي بقوله: "لا مراء في أن التاريخ هو أكبر عامل على الروح الوطنية حتى ليصبح القول بأن الوطن هو تاريخ الوطن "[1]

وبهذا التعبير نجد الكاتب وكأنه يضع التاريخ وتاريخ الوطن على قدم المساواة، أي لا معنى لوطن بدون تاريخ، فالأمة التي تجرد من تراثها الحضاري, تتحول إلى مجموعة أشخاص قد لا يوجد رابط يجمعهم إلى بعضهم البعض، لأن "معرفة ماكان من أثر التركيب الثقافي للأمة بما يقوم عليه من أسس تربوية وما يعتمده من قيم فكرية في صنع كيانها الحضاري هو أهم مايمكن استخلاصه من تراثها الحضاري "[2]

كما نجد أيضا الوراكلي يقول: "كان التاريخ مقوما من أبرز مقومات الهوية الثقافية للأمم والشعوب "[3] وهو مايؤكده أيضا أليكس ميكشيللي بقوله: "يشكل تاريخ الجماعة منطلقا لتجديد هويتنا، إذ تتجدر هوية الجماعة في تاريخها " [4] وبهذا يكون التاريخ كمقوم أساسي من المقومات التي تقوم عليها هوية الأمة, إذن فهوية كل أمة هي تاريخها وكل أمة تسعى في الانفكاك عن تاريخها هي أمة تخلت عن ماضيها وتراثها وجذورها.

[1] عبد الرحمن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995،ص11.

[2] حسن الوراكلي: المسلمون وأسئلة الهوية، ص71.

[3] نفسه: ص72.

[4] أليكس: ميكشيللي: الهوية، ص23.

-المبحث الرابع: بين الهوية والاغتراب

قد نشعر أحيانا بالعزلة والفقد والضياع لأننا نعيش في مجتمع يأبى الاعتراف بالذات ونتيجة لطبيعة هذا المجتمع أصيب الإنسان بالكثير من الاضطرابات والمشاكل وفي مقدمتها ظاهرة الاغتراب وهي "حالة نفسية يعاني منها الفرد ويشعر معها بعدم الصلة بالواقع المعاش ويعد الهوة بينه وبين الآخر على الصعيدين الأسري والاجتماعي بحيث يؤدي هذا الانفصال إلى ركون الفرد للعزلة والانطواء وتحقير الذات وذلك لعدم الشعور بأهمية مايقوم به من أعمال وبالتالي فانه يعتبر حياته نوع من الهراء المعاش "[1]

ولأن هناك علاقة جدلية بين الاغتراب والهوية بحيث تؤدي فقدان الهوية إلى ظاهرة الاغتراب، ويؤدي ضرر الاغتراب إلى أزمة الهوية هذا التلازم العكسي في العلاقة بين الهوية والاغتراب هو الذي دفعنا للحديث في هذا المبحث عن العلاقة بينهما، أي كيف تتحول الهوية إلى اغتراب وكيف تدفع بنا ظاهرة الاغتراب إلى أزمة في الهوية؟ خاصة إذا علمنا أن الهوية مفهوم يوحي إلى الاستقرار ويبعث في النفس الطمأنينة بينما الاغتراب مفهوم يوحي على اللا استقرار ويبعث على القلق والتوتر

وكلمة الاغتراب في "أصلها من الكلمة اللاتينية(alienation) وهي اسم مستمد من الفعل اللاتيني(alienare) والذي يعني نقل ملكية شيء ما إلى آخر، أو يعني الانتزاع أو الإزالة وهذا الفعل مستمد بدوره من كلمة أخرى هي (alienus) أي الانتماء إلى شخص آخر، أو التعلق بهذه الكلمة الأخيرة مستمدة في النهاية من اللفظ aluis الذي يدل على الآخر سواء كاسم أو صفة "[2]

[1] ساجدة مراد اسكندر: الاغتراب وعلاقته بالهوية الوطنية لدى طلبة الجامعة، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، مجلة كلية التربية، ع2، 2016، ص473

[2] يحي العبد الله: الاغتراب، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ط1 20005، ص21

وقد تتحول الهوية إلى اغتراب عندما تنقسم الذات على نفسها "وتتحول مما ينبغي أن يكون إلى ماهو كائن، من إمكانية الحرية الداخلية إلى ضرورة الخضوع للظروف الخارجية بعد أن يصاب الإنسان بالإحباط والإحباط عكس التحقق، وضعف الإرادة وخيبة الأمل....." [1]

فالشعور بالاغتراب هو شعور بالوحدة والعزلة هو شعور الإنسان في بعض الأحيان أن المجتمع الذي يعيش فيه لا تربطه به أي صلة ولا سيما مع أهله وأقاربه إذن شعورنا بالإحباط والاغتراب هو واحد من الأسباب المؤدية إلى فقدان الهوية وغيابها

وقد تعددت أنواع الاغتراب، اغتراب اجتماعي، اغتراب مكاني، اغتراب ذاتي، اغتراب ديني

اغتراب روحي....وغيره فنجد منها ماهو بعيد عن ماله صلة ببحثنا, فاخترنا أن نتحدث عن نوعين من الاغتراب وهو الذاتي والمكاني بصفة موجزة وهو مايخدم بحثنا وخاصة التطبيقي

فالاغتراب سواء أكان ابتعادا عن الوطن أو اغترابا عن الذات يمس جانبا مهما في الإنسان ألا وهي هويته

والاغتراب الذاتي، هو ابتعاد الفرد عن ذاته وجوهره "وتبدأ فكرة الاغتراب عن الذات بعدم الانتماء عن المجتمع، فالفرد يغرب نفسه عن طبيعته الجوهرية ويصل إلى أقصى القمم من التطرف في التنافر مع الذات"[2]

أما الاغتراب المكاني "هو شعور الأفراد والجماعات والمجتمعات بتمايزهم عن غيرهم عن طريق الانتماء إلى رقعة جغرافية سياسية تسمى (الوطن) بكل ما تحتويه من نظام سياسي وثقافات فرعية وإيديولوجيات قومية "[3]

[1] حسن حنفي: الهوية، ص24

[2] يحي العبد الله: الاغتراب، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون، ص24

[3] ماجدة مراد اسكندر: الاغتراب وعلاقته بالهوية الوطنية لدى طلاب الجامعة، ص475

فالاغتراب الأول (الذاتي) يجعل الإنسان يعيش صراعا نفسيا فيحدث انفصالا بينه وبين ذاته من جهة وبينه وبين مجتمعه من جهة أخرى، فما يعيشه الفرد في مجتمعه من حرب أو عنف أو اللا انتماء أو غيرها من الظواهر التي يعيشها الإنسان في بلده وبين أهله والذي يورث هوية متزعزعة مشكوك فيها

أما الثاني (الاغتراب عن الوطن) فهو ذلك الاغتراب الذي يجعل الإنسان يبتعد عن أهله ومجتمعه وبلده إلى بلد آخر ليلتقي بآخر يختلف معه في لغته ودينه وعرقه وبالتالي يختلف معه في هويته, فنجده إما يسارع بتأكيدها من أجل الحفاظ أو التخلي والانفكاك منها أو بالأحرى التحرر من قيودها،لأنه يعتبرها عائقا له للاندماج مع الآخر، فتظهر هويته هوية مزدوجة ومشوهة "فالاغتراب كعملية واحدة يفقد فيها الإنسان جزء من ذاته في الوجود الخارجي وفي هذا الفقد، إما أن تعثر الذات على نفسها في العالم الذي أنتجته فتتكامل مع ذاتها, وأما أن يكون العالم الذي أنتجته الذات غريبا عليها ولا ينتمي لها ويقف عدوا لها فيحدث الاغتراب "[1]

إذن الهوية قد تتصهر بفعل الاغتراب فإذا أحس الإنسان أنه يعيش مترددا بين عالمين متناقضين، يعيش في عالم غريب عن عاداته وتقاليده وهويته الحقيقية ينسلخ منها، أو قد يساهم الاغتراب في تداعيات ايجابية تساهم في تعريف الآخر بعاداتنا وتقاليدنا وبالتالي هويتنا

[1] مرجع سابق: ص477

الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية عائد الى قبري

المبحث الأول: تجليات الهوية من خلال الشخصيات

المبحث الثاني: المكان انتماء هوياتي

المبحث الثالث: علاقة الهوية بالاغتراب

المبحث الرابع: تقاطع التاريخ مع الهوية

تمهيد:

مرت الجزائر بفترة قاسية من تاريخها فترة دامية كانت تستباح فيها الدماء فأعلنت مرحلة التسعينات عن مرحلة بدئ جديدة في الرواية لم تكن كسابقاتها في رواية السبعينات والثمانينات.

فجاءت الكثير من الكتابات التي تطرقت إلى تلك الفترة والتي تتماشى مع واقع عاشته الجزائر في زمن الأزمة أو كما تسمى زمن محنة الوطن وخاض فيها الكثير من الروائيين ومن بين تلك الروايات التي تناولت هذه الفترة على سبيل المثال لا الحصر، رواية "كولونيل الزبربر" للحبيب السايح، رأس المحنة "لعز الدين جلاوجي، رواية سيدة المقام لوسيني الأعرج ولم تكن المرأة الروائية بعيدة عن هذه المأساة والفاجعة فقد كتبت هي الأخرى عن لا أمن والخوف التي عاشتها الجزائر أمثال أحلام مستغانمي في روايتها "ذاكرة الجسد" وياسمينة صالح "وطن من زجاج" وفضيلة الفاروق" تاء الخجل"

لنضع قلمنا على رواية "عائد إلى قبري" لكاتبة جزائرية أخرى استطاعت بتجربتها الواعية أن تسجل وتنقل لنا مأساة شعب وأزمة وطن بأسره بطريقة إبداعية جمالية تريح الذاكرة من أزمتها رواية "عائد إلى قبري" للروائية زكية علال حملت في طياتها رحلة المعاناة من الجزائر إلى العراق (بين الجزائر والعراق) باعتبارهما تشاركا الوجع نفسه من فقد وموت وجوع وان اختلفا في النظام والمجتمع والمكان فإنهما أمة واحدة، مثلما مرت الجزائر بمرحلتين عصيتين حملت الكثير من الدم والموت والظلم والظلام، قلبت الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية رأسا على عقب بدءا بمرحلة الثورة التحريرية وانتهت بمرحلة العشرية السوداء، كذلك هي الأخرى العراق مرت بمرحلة قاسية بدءا من طرف حاكم مستبد ظالم لتخرج من نظام دكتاتوري غاشم وتقع في فخ احتلال أمريكي.

تجليات الهوية من خلال الشخصيات:

تعد الشخصية الركيزة والمادة الأساسية التي يقوم عليها العمل الروائي فلا يمكن تصور أي رواية خالية من شخصياتها "فالشخصية هي القطب الذي يتمحور حوله الخطاب السردي وهي عموده الفقري والذي ترتكز عليه" [1] فيتحدد مفهوم الشخصية من خلال مجموعة من الصفات السيكولوجية أو الخارجية التي تحدد هويتها الداخلية (المشاعر، الانفعالات....)

والخارجية (الملامح، الجنس، الوجه) "حيث تلعب الشخصية دورا رئيسيا ومهما في تجسيد فكرة الروائي وهي من غير شك عنصر مؤثر في تسيير أحداث العمل الروائي "[2]

ولهذا سنقوم بدراسة تجليات الهوية لأغلب الشخصيات في الرواية خاصة أنها تشاركت الاغتراب, وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل:هل تعيش (شخصيات الرواية) هوية ثابتة أم مشوهة؟

وهل اغتراب شخصية البطل يوسف أحدث تزعزعا في ذاته وهويته وفقدانها؟

[1] جميلة قيسمون: الشخصية في القصة، مجلة العلوم الإنسانية، ع13، جوان2000، قسنطينة، ص195.

[2] نصر الدين محمد: الشخصية في العمل الروائي، مجلة الفيصل، دار الفيصل الثقافية للطباعة والعربية السعودية،ع37 جوان 1980، ص20.

-الشخصيات الرئيسية:

شخصية يوسف:

هو البطل الذي تدور حوله الرواية باعتباره يظهر في كل فصول الرواية مرافقا لشخصيات مختلفة فهو ليس مجرد شخصية أساسية ومحورية فحسب بل هو البطل والسارد في الوقت نفسه.

ذلك الشاب الذي قتل والده قبل أسبوع من إعلان نتائج (البكالوريا) فلم يلق نجاحه فرحا لما كان يعيشه قلبه وأهله وقريته من حداد لازمه العمر كله، تخصص في المحاماة تحقيقا لرغبة والده لكنه تميز وتألق وأصبح نجما لامعا في عالم الصحافة عالم جعله ينفتح على واقع أكثر ألما لما يحتويه من موت وانتحار وقتل واغتصاب نجده يقول: "دخولي إلى مقر الجريدة كان يشعرني بأني أدخل مملكة مملكة لا تتسع إلا لي، لكن بعد أربعة أعوام اكتشفت أن القلم لم يعد قمرا، ولا الورقة أصبحت شمسا، وأني تورطت في أخبار الموت والانتحار والاغتصاب والمخدرات وزنا المحارم والاختطاف....."[1]

تبدأ نقطة التحول في هذه الذات لحظة قبوله لعرض يقوم فيه بتغطية إعلامية لحرب العراق فيكون شاهدا على فتنة بدأت برأس أبيه وانتهت بسقوط بغداد.

شخصية تعيش التشتت بين ماضي أليم مليء بالمواجع والدمار والظلم و الذي عاشه في وطنه نجده يقول "كيف يمكن لوطن أن ينتقم من أبنائه بكل هذه الوحشية، ويعدم وجودهم في الحياة لا لشيء إلا أنهم أصبحوا أرقاما غير مرغوب فيها" [2] ذلك الذي وجد رأس أباه مبتورا عن جسده لتبقى صورة بشعة تحتفظ بها الذاكرة، وبين حاضر مرير يعيش فيه الاغتراب بكل أنواعه.

ارتحل من قرية ومن وطن ظن أنه يستطيع التملص من ماضيه والشفاء منه لم يدرك أن الأوطان كالأشخاص تعيش اليتم هي الأخرى ، هذه الذات (يوسف) التي هربت من الواقع

[1] زكية علال: عائد إلى قبري، دار الأوطان، الجزائر، ط1، 2015، ص146.

[2] نفسه: ص55.

الأليم لوطنها لتقع في ذات عربية هي الأخرى أكثر جرحا وأعمق بؤسا (العراق) لتشاركها هويتها الضائعة يتجسد هذا في قوله "هناك مدينة تلقاك عابسة متجهمة, فترغب لو أنك تعود أدراجك مع أول طائرة تتجه إلى وطنك ... بغداد كانت على غير عادتها أحسست أنها الكريم الذي يريد أن يمنحك كل ماعنده لكنه يجد نفسه فارغ اليدين والقلب والصدر فلا يزيد أن يهديك ابتسامة فيها رائحة الموت الرحيم ..." [1] فكما أن الهوية يمكن أن تكون مصدرا للانتماء والاستقرار واللاخوف تكون أيضا مصدرا للخوف واللااستقرار فلم تكن الهوية يوما مسألة اختيار بل هي مسألة نجد أنفسنا نسبح في تاريخها يتجسد هذا في قول يوسف عن ذلك الشاب الفلسطيني "عمار مقتول مند الولادة الأولى، مند كان نبتة في رحم أرض لا حق له في ترابها ولا هوائها (...) إنه قدرنا لا مهرب منه ... قدرنا أن نموت خيبة في أوطاننا ونهلك قهرا وتنكيلا على أيدي أعدائنا " [2] وهذا ماعاشه (يوسف) حين حمل أمنياته إلى وطن آخر محاولا الاندماج فيه حاملا هويته وذكرياته وحب لامرأة علمته كيف يبتسم من جديد

ترحل بنا الكاتبة إلى بغداد هذه المدينة التي أنارت الكون بعلمها، التي كانت مكانا للعلم والمعرفة تلك الحضارة التي أصبحت مجرد جسد ينخره الطغاة من كل جهة تلك المدينة العريقة وما تعيشه من موت وجوع وهذا ما يجسده قوله حين وصوله إلى بغداد "مدينة تشبه المقبرة التي يزورها الغرباء ولا يستنشقون غير رائحة الموت "[3]

وتقفز بنا الروائية إلى حب آخر في حياة "يوسف" إنعام تلك الصحفية المصرية التي التقى بها في العراق وكيف بدأت علاقتهما تتشكل لتصبح علاقة حب بين "جزائري مفجوع ومصرية طاعنة في الوجع "[4]

تتطرق الروائية إلى آخر لم نعهده في الروايات العربية الأخرى بهذه الصورة فتتحدث زكية علال عن الذات الجزائرية متمثلة في يوسف وعلاقتها مع الآخر و الذي لم يكن الآخر

---

[1] الرواية: ص180
[2] نفسه: ص282
[3] نفسه: ص180
[4] نفسه: ص227

العدواني إنما الصديق فظهر آخر يعبر عن هذه الذات وينفتح عنها الآخر العربي (الأسيوي والإفريقي)هذا المصري (إنعام)والفلسطيني (عمار) والتونسي (الهام)،العراقي (ناصر)والذي يتشارك مع الذات في مأساتها فأخذت علاقته تأخذ صورة ايجابية "إن المثقف لايمكن أن يرى في الهوية تقوقعا على الذات، كما أنه لا يمكن أن يرفض الانفتاح على الآخر من أجل الحفاظ على مكوناتها، لأن ذلك يعني الجمود والضعف والانحطاط " [1] ولأن الذات الواثقة تنفتح على الآخر أما الذات الخائفة فتتقوقع على نفسها وهذا ما فعله بطل الرواية "يوسف" حيث أراد أن يشترك في هوية الآخرين بعدما رأى أن الاندماج في هوية الآخر تسهل مهمة العيش معه وهذا مايجسده قوله "الأكيد أننا سنكون أسرة واحدة، وعلينا أن نختار من ستكون له سلطة الأب ومن سيكون لها حنان الأم، وسعت صدرها لحماقاتنا ومن سيكون لها دفئ الأخت الكبرى ودلال الأخت الصغرى "[2]

تعيش هذه الذات فجائع أكثر من سابقاتها وجد نفسه سجين بين هوية ماضوية (ماضية) عاشها وطنه وراح ضحيتها الكثير وهوية حاضرة ملتصقة به فجيعة وطن فقد تاريخه كان شاهدا عليه(بغداد). فالتاريخ أعاد التأسيس لهوية جديدة فبعد أن بتر رأس والده في الجزائر يعود هو مبتورا لساقه وأحلامه إليها"نجوم سمائي تهاوت على قدم مبتورة خلفتها ورائي ترقد في أرض بيني وبينها مسافة وجع ...أرض عاشرت فيها النار والخوف، أحلاما رأيتها مشروعة ...لكنني رجعت منها مهزوما بعد أن تركت على تربيها الملونة برائحة الخيانة بعض جسدي ودمي ليشهد على بشاعة اعتناق الإنسان لمذهب القتل كغاية " [3] وجد نفسه أمام واقع يفقد ذاته كل يوم أمام تاريخ تعريه الحروب وحضارة تنفك رأى في أعين شعبها حقوقا تنتهك وجدت نفسها هذه الذات تعيش صراع بين ذاكرة مليئة بالمواجع وبين تاريخ جديد يعلن على "ضياع وطن كان شامخا حتى اللحظة الأخيرة " [4] فعاد منها مهزوما لايملك من نفسه إلا بعضا من جسده عاد إلى وطنه عساه يرمم شتاته الباقية .

---

[1] ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر، ص16

[2] الرواية: ص184

[3] نفسه: ص15

[4] نفسه: ص251

يتجلى تشتت هوية هذه الذات "يوسف" في الرواية من خلال مجموعة من الأسئلة التي يسعى يوسف للإجابة عنها فجاءت هذه الأسئلة مصاحبة لحالة نفسية يعيشها ولأن السؤال عادة ما يصاحب تزعزع وتشضي تعيشها الذات فالمرحلة التي مر بها يوسف "مرحلة الأزمة" التي قتل فيها والده ورمي في كيس أسود جعله يعيش حالة من الضياع والتيه فكان قبر والده أول مكان يعود إليه بعد غربته عساه يريح الذاكرة من أزمتها ويوقف النزيف التي هتك بها ونتمثل هذا في قوله"هل عثروا على بقية الجسد، ويرجع لأبي حقه في شبر الأرض ؟هل أعادوا استخراج الرأس وخاطوه ببقية الجسد أم دفنوه إلى جواره وسيعرف كل منهما الآخر ويلتحمان دونما حاجة لخيط وإبرة ..."[1]إن ماعاش يوسف من صدمة خلقت شرخا في الذاكرة أحداث مؤلمة جعل التخلص منها شيء مستحيل وخاصة وإن كان يرى في نفسه وريثا لمأساة عاشها والده ظلت محفورة بذاكرته لتصبح هوية حاضرة ملتصقة به بعد أن ترك بعضا من جسده في العراق نجده يقول "آه يا أبي لقد وجدت من أهلك من يبكي على رأس عثرنا عليه في كيس للقمامة, ولم أجد من أهلي من يبكي على ساقي التي تركتها في غرفة العمليات ببغداد, ولا أدري مافعلو بها ... هل يرمونها مع النفايات الطبية لتكون طعاما شهيا للكلاب الضالة أم يدفنونها كما يدفن الجسد كاملا؟ هل تغسل وتكفن وتكرم كبقية الجسد؟ أم إن العضو الذي ينفصل على الجسد ولو قصرا يصبح منبوذا ولا يستحق أن يكرم"[2]

كما تجلى التزعزع في الهوية في لحظة ضعف يعيشها يوسف إذ وجد نفسه محصورا بين حب لامرأتين، فيعيش صراع حب لشخصين في قلب واحد (صراع داخلي) شخصية سعاد التي مثلت ماضيه ووطنه وشخصية إنعام التي صنعت حاضره وكانت شاهدة على معاناته ويتجسد هذا الصراع الداخلي في قوله "كم هو موجع أن تجد نفسك تقفز بين ضفتي

[1]الرواية: ص12

[2]نفسه:ص14

امرأتين... امرأة تصنع ضعفك الإنساني الذي تشتهيه وتحن إليه (...) وإمرة تصنع فجائعك الإنسانية التي تهرب منها "[1]

شخصية سعاد:

شابة جزائرية مثقفة تنتمي إلى عائلة مرموقة ابنة رجل مثقف يشغل منصب مرموق في الصحافة تصور الرواية هذه الشخصية في صورة المرأة التي تعيش الكثير من الانكسارات تائهة في البحث عن الإجابة لكثير من الأسئلة، أرادت الروائية أن تلقي الضوء على ماعانته المرأة هي الأخرى من فجاعة القتل وفضاعة الموت، سعاد الذي قرر أحد إخوتها الاغتراب على أن يعيش في وطن يأكل أبناءه وذلك لشدة تأثره بأخيه الذي فقد وهو في طريقه للجامعة ليصبح رقما في ملف المفقودين وأم قتلتها الصدمة من فاجعة أطفالها.

كانت سعاد هي نقطة التغيير في حياة يوسف والتي أضاءت النور في قلبه من جديد هذه الذات المنكسرة (سعاد) أعادت لذات أخرى(يوسف) ابتسامة غيبها الزمن وأعادت ترميم جسد أصبح مجرد انكسارات يتمثل هذا في قول يوسف "يرقع كل منا ماتمزق من الآخر رغم أن ما كان يتمزق مني أكثر بكثير مما كان يتمزق منها..."[2]

[1] نفسه:ص221

[2] الرواية: ص73

شخصية سعد الجزائري:

والد سعاد وهو كاتب ذو فكر إعلامي حر(صحفي) شغل الكثير من الجرائد ولأنه في كل مرة فكان في كل مرة يفاجئ بانتقاد ورفض لمقالاته لما لها من جرأة وخطر على المسؤولين والساسة ولكنه بقي صامدا لأفكاره وقناعاته.

تحاول الروائية أن تسلط الضوء من خلال هده الشخصية عما يعانيه المثقف من تهديدات وهو يكشف تشوهات المجتمع فكان "عمر أرتيلان" مثالا عن ذلك المثقف الصحفي الذي اغتيل وأضحى قتيلا في سبيل قلمه

سعد الجزائري الذي كان يرى في يوسف نسخة منه فأراد أن يكون يوسف مرآة لذات غيبها الزمن فأراد أن يكون يوسف هو ذاته التي تحقق أحلامه يتمثل هذا في قوله" أريدك أن تكون أنا... وأكون أنت...لا فرق..."[1].

[1] الرواية: ص166

شخصية عمار:

الصحفي الفلسطيني الذي ترك أرضه ووطنه واتجه إلى العراق لتغطية وقائع الحرب هناك

شخصية تحمل الكثير من الأوجاع ذلك الذي تحمل وجع أن يكون ذات من دون ملجأ (ولد في المعتقل) ووجع وطن يسبح في دماء شعبه كل يوم, ووجع رجل عبث المعتقل بشرف زوجته, ووجع أب مفجوع في ابن ولد مثله في المعتقل، عمار ذلك "الذي فقد كل شيء، فثار على كل شيء "[1] فكان عمار ذلك الصحفي الذي مات في انفجار وهو يحاول تقديم صور لشعبه تلامس الواقع

أرادت الكاتبة أن تنقل لنا من خلال شخصية عمار ما يعانيه الفلسطيني من تشتت وصراع في ذاته وهويته فكانت هي الشخصية (عمار) التي طرحت من خلالها الروائية سؤال الهوية بعنف لتعبر عن هوية فدائية مرتبطة بكل فلسطيني وهوية وطنية تعبر عن الأرض المفقودة حيث سردت من خلال هذه الشخصية قصة جيل وحكاية أمة ووجع شعب يعيش المأساة فقد أجابت عن هوية الفلسطيني من خلال صوت عمار ويتجلى ذلك في الرواية من خلال وصف السارد له في قوله "من وجد نفسه ينزل من بطن أمه داخل خيمة منصوبة على أنقاض وطن كبير يسكنه الغرباء, لا يمكن إلا أن يكون ثائرا"[2]

[1] الرواية: ص256

[2] نفسه: ص210

شخصية إنعام:

صحفية مصرية قتل زوجها الصحفي بعد تعريته لقضايا الفساد في مصر, تعرفت على البطل يوسف في العراق وجمعت بينهما علاقة حب قوية بعد أن كان تاركا وراءه حبيبته سعاد

إنعام امرأة هاربة من وطن شوهته النكسة فهي تحمل في عمقها الخيانات والفتن التي تعرضت له في بلادها فكانت بغداد وجهتها لتكون شاهدة هي الأخرى على جرح بغداد وسقوطها في تحمل في طياتها خيبة وطن "تورط في دم زوجها كما تورط في انكسار أبيها حتى الموت...."[1]

[1] الرواية: ص227

2-الشخصيات الثانوية:

انفتحت رواية "عائد إلى قبري" على شخصيات ثانوية لا تقل أهمية عن الشخصيات الرئيسية وإن كانت تشغل حيزا ضيقا مقارنة بالحيز الواسع الذي شغلته الشخصيات الرئيسية في الرواية وسنحاول التعريف بهوية هذه الشخصيات بطريقة موجزة تجدر الإشارة بهم في سياق الحديث عن البطل إذ ارتبط وجودهم في الرواية بارتباط الشخصية الرئيسية "يوسف "

كانت أم يوسف التي قتل زوجها وصارعت الحياة بما فيها من متاعب، ومريم أخته الصغرى التي أثر فيها موت والدها فكان عائقا لها في نجاحها، وسليم خال يوسف الذي كان سندا لهم في محنتهم، وفيروز ابنة قريته التي رمت بتفوقها من أجل الزواج بقريبها الذي يكبرها سنا وأصدقاءه "مصطفى"و "مراد" و"حسن" التي تتقاطع دروب حياتهم وهم يدورون في دائرة الأحلام فكان لكل منهم حلم ظلت تعانق حدود السماء فلم يكتب لها أن تتجسد في الواقع "الأوطان أيضا قد تمارس الخيانة ضد أبنائها وتتجاهل طموحاتهم وأحلامهم وتقذف بهم إلى يأس قاتل "[1]

فكانت هذه الشخصيات بالرغم من بساطتها في الرواية إلا أنها ساهمت بدور تكاملي في سير الأحداث فكان استدعائها كعامل مساعد في سيرورة العمل الروائي وتطور مسار الحكي فقد مزجت الروائية في نصها الروائي "عائد إلى قبري" قضايا تتداخل بين الحب والوطن والاغتراب فاشتركت أغلب الشخصيات للرواية في الوجع والانشطار والانكسار، لتحمل كل

[1] الرواية: ص80

شخصية فجيعة وطن وهوية شعب هربوا بأحلامهم متمسكين بهويتهم ليجدوا أنفسهم "يتقاسمون وجع هزيمة مبكرة خربت ما بقي من الرجاء في مدينة السلام"[1]

يتجلى تشضي هوية الشخصيات في الكثير من الأصوات في متن الرواية والتي تعبر عن ما تعيشه كل شخصية من ضياع فارتأينا إلى وضع جدول، نوضح من خلاله نماذج من الرواية تبرز ماتعيشه تلك الشخصيات من صراع وتشتت في ذاتها.

جدول يوضح تشتت الهوية من خلال الرواية:

الشخصية	نماذج من الرواية	الصفحة
يوسف	-هل يمكن لحي أن يبكي على كتف ميت؟	ص10
	-أشعر أن العواصف اقتلعت مني كل جذور الأمان ورمت بي شجرة عارية يتيمة(...) -مجرد كائن مهمل سينزوي في زاوية مظلمة من زوايا بيته(...) رجلا أمسى حطبا يابسا؟	ص29
	-ورغم الذي ضاع مني وأحالني لباق لا يصلح أن يكون بشرا يمشي على الأرض	ص31

[1] نفسه:ص242

	–وأنا أحس أني لم أعد أختلف عن غلمان بني أمية وبني العباس الذين كانوا ينتزعون فحولتهم ويزرعونهم في قصورهم بين فتياتهم ونسائهم وهم مطمئنون على شرفهم...	ص35
	–لم أستطع أن أصرخ...لم أستطع أن أبكي(...)دخلت في غياهب عالم لا أدري ما لونه...	ص57
	–كنت فقط أحتاج إلى حقنة أخرى مهدئة لأستوعب أني لم أعد رجلا,وأني لم أعد أصلح إلا أن أكون مهرجا على موائد القمار السياسي أضحك زعماء العالم الذين علقوا فحولتي إلى أجل غير مسمى...	ص227
سعاد	–تدخلنا في دوامة من الضياع لم نخرج منها إلى اليوم	ص117
	–آه...ما أقسى أن لا يكون لفقيدك قبر تبكي فوقه...لو كان لأخي قبر أرويه بدموعي لكان موته فقدان(...)لكن الأكثر ألما ألا يكون لحبيبك قبر	ص18–19
	–أشعر بحزن يشطر قلبي إلى نصفين...لم أستوعب غياب أخي بعد كل هذه السنين, ولن أصدق أني لن أراه مرة أخرى	120ص
إنعام	–ما يؤلم حقا أن كل عربي أصبح معطوبا في روحه وجسده ليس بفعل حرب خاضها مع العدو إنما هو معطوب فتنة أو فساد في بلده	ص200
	–وحده تاريخ أبي يجعل الخيبة تتورط في دمي	ص224

	–...تحولنا نحن إلى أشباح تتحرك داخل البيت, لا نتحدث إلا همسا, ولا نمشي إلا سكونا, ولا تعرف الابتسامة طريقها إلى وجوهنا	ص227
	–وامرأة آتية من خيبتها في وطن تورط في دم زوجها كما تورط في انكسار أبيها حتى الموت...	ص227
عمار	–شاب في منتهى الوجع(...) وهو يرقص على أشلاء شعب تمزق بين الشتات والملاجئ والخيام...	ص207
	–عمار...مقتول منذ الولادة الأولى, منذ كان نبتة في رحم أرض لاحق له في ترابها ولا هوائها...	ص281
	–عمار...عاش متدثرا بكفن الشهيد منذ أن نسبه أبوه إلى المرأة التي أحب ومنحه اسم شهيد من الجزائر...	ص282
سعد الجزائري	–أحيانا أتصور أنه حي, وأنه في مكان ما في هذا العالم وسيعود يوما وأحيانا أتصور أنهم قتلوه ورموا بجثته للكلاب والوحوش وأنها نهشت جسمه الطري هذا التصور الأخير يجعلني أفقد اتزاني وأبكي كما الأطفال	ص137
	–لم يستطع أن يحبس دموعا هزمته فتركها تنزل لتكون شاهدا على حرقة أب لا يعرف لولده أرضا	ص138

المكان انتماء هوياتي:

الانتماء حالة نفسية تعيشها الذات وتشعر بها تنمي فيها أواصر الثقة والطمأنينة، والانتماء الأكثر عمقا في نفس الإنسان بعد انتمائه الديني والعرقي والقومي هو انتمائه المكاني باعتباره شكلا من أشكال الهوية إذ ارتبط وجود الإنسان بالمكان منذ الأزل فانتماء شخص إلى مكان ما يجعل منا نحدد هويته المكانية "فلا يمكن للشعور بالانتماء أن يوجد بعيدا عن دائرة المشاعر المكونة لشعور الهوية "[1]

والانتماء إلى جماعة عرقية أو دينية أو قومية أمر يجد الإنسان نفسه مفروضا عليه لا دخل له فيه فمثلما يعبر الانتماء عن أواصر الثقة والطمأنينة والأمن وقد يحدث الشعور "بالانتماء"

خوفا مضاعفا وشعورا بالارتداد في الذات "فالانتماء شعور فردي بالثقة يملأ النفس, شعور بأن الإنسان ليس وحيدا وليس ضعيفا ولا يسير منفردا في عالم يجهله، بل هو يمتلك السند وأنه أي الفرد جزء من الجماعة يمكن أن تدافع عنه ضد المجهول سواء أكان هذا المجهول قوة معادية، أو ظروف قاهرة أو أي شيء آخر...وتتنوع الانتماءات عند الإنسان وذلك للتطورات المتعددة التي تشهدها البشرية يمكن إيجاز أهم أنواع الانتماءات وأكثرها شيوعا في

[1] أليكس ميكشيللي: الهوية، ص76

الانتماء العرقي، الانتماء الديني والإيديولوجي، المذهب الحزبي،الانتماء الزمكاني، الانتماء القومي السياسي"[1] وما يهمنا هو الانتماء المكاني خاصة وأن الروائية شيدت روايتها"عائد إلى قبري" على مكانين مختلفين الجزائر والعراق ولهذا نتساءل: هل استطاعت الروائية أن تجمع بين البعد الهوياتي وما يحمله المكان من ذكريات وأحداث واقعية في بوتقة واحدة؟

مهما كان شكل العمل السردي رواية, أو قصة....لابد أن يقوم على الفضاء المكاني، فلم يعد المكان مجرد عنصر من عناصر الرواية إنما من أهم العناصر الذي تبنى عليه الرواية

وهذا ما لا حضناه في رواية عائد إلى قبري فلم يعد المكان هو ذلك الحيز الجغرافي الذي تتحرك فيه الشخصيات فقط وإنما من أقدم العناصر الذي قام عليه العمل الروائي باعتبار الرواية تتحدث عن مجموعة من الوقائع والأحداث المؤلمة في مكانين مختلفين، فحمل المكان بعدا دلاليا عميقا يحمل في جعبته تاريخا وإسقاطا على مجموعة من الحالات النفسية التي تعيشها الشخصيات في الرواية من ألم وشوق وحنين وغيرها "فالمكان ليس عنصرا زائدا في الرواية, فهو يتخذ أشكالا ويتضمن معاني عديدة بل إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله "[2] المكان يتخذ عدة أنواع وأشكال منها الأماكن المغلقة

(كالقبر، البيت، المستشفى، الفندق....) والمنفتحة (كالشارع، الحي، المدينة، الأسواق الشعبية)

سنحاول أن نلقي الضوء على الأمكنة التي حملت بعدا دلاليا ومعنويا في نفوس شخصيات الرواية وكيف أصبح المكان منتجا لهوية ذاتية مرتبطة بشخصية البطل "يوسف" ومنتجا لمكونات الهوية الثقافية والجماعية "فلا يمكن للمكان أن يكون مجرد أبعاد هندسية وفضاء جامد لذلك فالمكان لا تذب فيه الحياة ويقترب من الدلالة الواقعية إلا بفضل الشخصيات

[1] فارس لونيس: سياسات الهوية وأثرها على الاستقرار والمواطنة بين ال "هم" وال "نحن", أعمال المؤتمر الدولي الثامن التنوع الثقافي، طرابلس، ماي2015، ص4

[2] حسن بحراوي:بنية الشكل الروائي، الفضاء، الزمان، الشخصية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2009، ص33

الروائية المتخيلة التي تتعايش فيه وتستمد من طبيعتها فيتبادلان التأثير والتأثر الموجب والسالب"[1]

أولا: الوطن (الجزائر)

الوطن هو الفضاء المهيمن على أغلب الأماكن في الرواية وباعتباره المكان الذي انطلقت منه الرواية وإليه تنتهي.

والوطن عادة يحمل الإحساس بالأمان والانتماء مكان يعبر عن هويتنا المكانية فتطمئن وتسكن إليه أرواحنا وأجسادنا، لكن الوطن في رواية "عائد إلى قبري " أخذ صورا مغايرة ليعبر عن كثير من الظلم والفقد والضياع في مرحلة قاسية من تاريخ الجزائر فا "الجو المشحون والانغلاق الهوياتي التي شهدتها الجزائر منذ نهاية الثمانينيات طرحت سؤال الهوية بعنف في الرواية "[2]

فانطلقت إشكالية بطل الرواية (يوسف) مع الهوية بدءا من وطنه وما يعيشه من انكسارات وخيبات متواصلة نجده يقول "الأوطان أيضا تمارس الخيانة ضد أبنائها وتتجاهل طموحاتهم وأحلامهم وتقذف بهم إلى يأس قاتل، وهذا النوع من الظلم لا يمكن أن ترفعه عن نفسك ولا

[1] محمد معتصم: المتخيل المختلف، دراسات تأويلية في الرواية العربية المعاصرة، دار الأمان، الرباط، ط1، 2014 ص177

[2] سليم حيولة وآخرون: العين الثالثة، تطبيقات في النقد الثقافي وما بعد الكولونيالي، دار ميم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1 2018، ص92

عن غيرك بالمرافعة والوقوف في المحكمة..."[1] لتتعمق هذه الأزمة عندما ارتحل إلى دولة العراق فيعيش فجائع أكبر فيعود منها مبتورا لساقه وأحلامه فقد تجلى تشضي هوية بطل الرواية "يوسف" حينما رأى بأن وطنه أصبح عالم يقتل فيه الإنسان أخوه الإنسان وطن أصبحت معظم طرقاته تفوح برائحة الموت "عالم فقد لغة الحوار واتخذ من القتل وسيلة للانتصار لفكرة ما... عالم يقتل فيه الإنسان إنسانا آخر لمجرد أنه يختلف معه في الرأي أوفي طرح فكرة، وقد يقذف به إلى الجحيم لأنه يختلف عن لونه بل قد يطعنه بخنجر حقد لمجرد أن شكله لم يعجبه "[2] إن الأحداث الدامية التي عاشها الوطن (الجزائر) والطريقة التي قتل بها والده (يوسف) جعله يعاني الضياع والتشتت فأصبح هذا الوطن يحمل ذكريات أليمة ظلت ملتصقة به فارتباط فجيعة يوسف بمقتل والده(بوطنه) بذلك المكان جعله يحمل هوية ملتصقة بهذا المكان (الجزائر) فقد تجاوز الوطن دلالته العادية وأصبح مكانا محملا بالخيبة والمرارة فكانت رواية "عائد إلى قبري "هي "رواية المكان والتاريخ، هي كذلك رواية الشخصيات المجسدة لهذه الخيبة، والتحولات التي تطاول الأمكنة والتاريخ وتعصف بمظاهرها الجميلة"[3]. وهذا الوطن أخد عدة أمكنة فأخذت أشكالا مختلفة (نفسي، سياسي اجتماعي)، باعتباره مكانا مفتوحا لهذا سنركز على الأمكنة التي تحمل في طياتها هوية فردية مثل القرية أو هوية جماعية مثل الشارع أو هوية حضارية مثل العراق فالمكان "يكتسب معناه ورمزيته من العلاقات الدلالية التي تضفيها الشخصيات عليه وبالتالي فإن الفضاء في السرد إلى جانب بنيته الطبوغرافية (الجغرافية، المكانية) يمتلك جانبا حكائيا تخييليا يتجاوز معالمه وأشكاله الهندسية "[4] ولهذا سنقف على مجموعة من الأمكنة التي

[1] الرواية: ص80

[2] نفسه: ص63

[3] إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة مابعد الاستعمار، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2012، ص238

[4] محمود بوعزة: تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص100

انعكست على مصير شخصيات الرواية، وهل المكان هو من أورث هوية للشخصيات؟ أم أن الأحداث التي وقعت بتلك الأمكنة أصبغت هوية بها؟

1-القرية:

أغلب الروايات تقوم على ثنائية الريف والمدينة في الرواية الواحدة و"رواية عائد إلى قبري" قامت أحداثها من القرية، فتحولت القرية في الرواية بوصفها مكانا تتحرك فيه الشخصيات والأحداث إلى مكان يحمل أحداثا مأساوية بقيت شاهدة عليها.

فالقرية أرخت لأحداث مؤلمة أكسبت المكان تلك الصفة العنيفة فهذا المكان المعبر عن انتماء "يوسف" أكسبه ذكريات تمنعه في كل مرة للعودة إليه نجده يقول "لماذا أعاقب أمي وقريتي الجبلية بالغياب على ذنب ذبحهم قبل أن يذبحني، (...) لأن في الخلف شبحا مرعبا أخاف -إن استدرت- أن يلتهمني؟ "[1] فأصبحت القرية تمثل ذكرى أليمة لبطل الرواية "يوسف" والذي ظل يحتفظ بها بعد قتل والده بتلك الطريقة البشعة فمارس المكان عليه تأثيره وسلطته, فالقرية كانت هي منطلق أحزان يوسف وإليها عاد بعدما أحس بالضياع فجاء حبه

للقرية لا يعبر عن ذلك الانتماء والأثر النفسي الذي حمله هذا المكان يبدو واضحا في قوله "لست أدري, لماذا فتحت زيارتي للقرية بالمقبرة ربما لأنها أول ما يستقبلك عندما تدخل القرية(...) كل المدن التي زرتها لم أجد فيهم مدينة تستقبلك بمقبرة إلا قريتي النائمة في أحضان الجبل, وكأنها تحيلك إلى سكون الموت الذي ينتظرك عندما تدخلها"[2] فالقرية أورثت ليوسف ذكريات لا شفاء منها فكان حبه للقرية حبا جافا لم يعد ذلك المكان رمزا للطفولة وللسكينة وللأهل بل أصبح مكانا للألم يسكنه الحزن والخيبة.

القرية أورثت صورة تتكرر في ذاكرته وهو بعيدا عنها فقد امتدت هذه الصور القائمة للقرية إلى مدينة أخرى فحضرت "القرية" بصورتها العنيفة التي أعادته إلى ذكريات راسخة في ذهنه يتجلى هذا في قوله "الأصوات المرعبة سمعتها من قبل، وهذه الرائحة النتنة التي تغطي المكان خبرتها في مكان آخر، في مكان أحزانها الذئاب التي تعوي وهي تفترس ما تبقى من

[1] الرواية: ص150

[2] الرواية: ص15

جثة أبي والتي وصل صوتها إلى داري بقريتي النائية بالجزائر(...) هل سأكون قطعت المسافة بين الجزائر وبغداد –فقط– لأفجع في رأس امرأة أنتمي إليها "[1]

فالمكان حمل هو الآخر هويته لما له الأثر الواضح في نفسية "يوسف" فقد أعاد المكان إحياء هوية ماضية أضحى الماضي الأليم عبره حاضرا تتجدد كلما عاد إليها فكلما حل بالمكان يعود بذاكرته إلى الوراء ويسترجع تلك الحادثة الأليمة القابعة في أعماق الذات وهو يشرف على القرية نجده يقول "لأول مرة وأنا أشرف على القرية اكتشفت اختفاء رأس أبي الذي كنت أراه معلقا على شجرة الصفصاف التي تقدمك إلى قرية تغرق في أوحالها..."[2]

–كما يمكننا أن نعد عنوان الرواية "عائد إلى قبري" تمهيدا لما يحمله المكان (القبر) من دلالة قوية تثير في القارئ نوع من الدهشة والاستغراب حتى يكون العنوان أكثر انسجاما مع حجم المأساة والمعاناة التي يعيشها البطل ولأن العنوان يحتضن عدة تأويلات فقد يحيلنا معنى القبر إلى القرية أي عندما عاد يوسف إلى قريته النائية بعد سنوات طويلة والتي تنقصها أساسيات الحياة، فوجدها ليست سوى قبر نجده يقول(يوسف) عند عودته إلى القرية"لست أدري لماذا افتتحت زيارتي للقرية بالمقبرة...كأنها تحيلك إلى سكون الموت الذي ينتظرك عندما تدخلها "[3]

فالمكان لم يستمد هويته من تضاريسه ولا من هندسته وإنما بما يحتويه من ذكريات بقيت شاهدة عليه

2–الشارع:

يعبر المكان عن هوية جماعية فقد عرفتنا الكاتبة عن طريقة تعبير الجزائريين عن رفضهم في هذا المكان فحمل في صورته هوية شعب في التعبير عن رأيه فقد حمل الشارع روح الثورة التي كلما شعر الشعب بالظلم لجأ إليه فتجاوز المكان صورته النمطية باعتباره مكان

[1] نفسه: ص266

[2] نفسه: ص16

[3] الرواية: ص16

مفتوح "ليصبح قلبا ينبض بهموم الناس وأحلامهم وينطق بضمائرهم, لهذا يسود فيه ضمير الجماعة "[1] فحمل الشارع دلالة أعمق فكان أداة ووسيلة يعبر بها الشعب عن رفضه.

وقد استطاعت الكاتبة أن تنقل لنا صورا عن طريقة تعبير الجزائريين عن غضبهم وكيف كان الشارع هو محكمة الشعب إما بغلق الطريق انتصارا لحضور رئيس القرية وإما بإشعال العجلات المطاطية حتى أن البعض يقوم بإضرام النار في نفسه وهلاكها "عندما يتسلل الإحساس بالعدل من قلوب المواطنين لا تبقى غير النار وسيلة لإعادة ميزان العدل...عندما تغيب مساحات الحوار بين الرعية والحاكم لا يبقى غير الخروج إلى الشارع لإعادة الحق المسلوب "[2] فأخذ المكان هوية جماعية تعبير عن الإنسان الثائر على الظلم فكان الشارع لغة للدفاع عن النفس، لم يأخذ الشارع بعدا تخييليا إنما جاء ليعبر عن واقعة حقيقية، وكيف كان شاهدا على مجموعة من الأحداث وكيف مارس الإنسان سلطته عليه ليعيد لهم حقوقهم الضائعة ليحمل طاقة دلالية عميقة تعبر عن جزء من ثقافة الشعب وبالتالي جزء من هويته "كم من ملك متجبر عبث بأحلام الناس فأنزله الشارع من عرشه، وكم من سلطان تقاذفت تاجه الأقدام المهرولة في الشارع احتجاجا ...وكم من دكتاتور متجبر عبث الشارع بقوته وحوله إلى بالونة مثقوبة تتطاير أجزاؤها بتطاير انتفاخها الوهمي في الهواء..."[3]

كما اتخذ الشارع صورة أخرى تبرز فيه تشتت الهوية وانكسار الذات حينما يأخذ منه يوسف مكانا للتسكع على غير العادة يصاحبه الشعور بالتمزق والهروب من الحقيقة أثناء تذكره لوالدته فيأخذ الشارع تلك الصورة الحزينة نجده يقول "بدا لي الشارع في حالة ثورة وهيجان وكأنه غاضب من هذه الوجوه التي تعبره وتنثر خيباتها على رصيف بارد(...) ولهذا غيرت الطريق المؤدي إلى مقر الجريدة وواصلت تسكعي بالشارع "[4]

---

[1] ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر, ص134

[2] الرواية: ص102

[3] الرواية: ص103

[4] نفسه: ص161

فكان الشارع هو المكان الذي لجأ إليه يوسف أثناء تذكره لوالدته ولأخته فاستحضر كثير من الذكريات فكان المكان "فرصة لرحيل الذاكرة لاستعادة أجواء ووقائع تبدو مرارتها كما لو أنها لا تختلف عن الحاضر "[1] ولهذا ارتبط المكان بدلالة الحزن

ثانيا:غربة المكان(العراق)

بنيت الروائية زكية علال عملها "عائد إلى قبري "على ثنائية المكان (الجزائر, العراق) فجاء فضاء العراق مسايرا لفضاء الجزائر في الرواية وكانت بغداد مكان رئيسي سجلت الروائية فيه تغيرات الهوية "والتي كابد جحيمها الإنسان العراقي منذ الثمانينات من القرن الماضي وانعكست على حاضره احتلالا أمريكيا ظالما لم يعصف بملامح الدولة فيه وحسب وإنما فتت الهوية وأحل مكانها توترات طائفية أليمة"[2]

وقد نقلت لنا الروائية من خلال ذكر جماليات المكان هويته وارثه التاريخي من معمار راقي والزخارف على المساجد والتناغم والتناسق في المباني العراقية لتترك وراءها ملامح لحضارة كان العرب ينتجها لا يستهلكها ويتجسد هذا في قول عمار "منذ أن وصلت إلى بغداد وأنا أرصد كل شيء بالكاميرا،لا أكاد أمر بشارع إلا أخذت له صورا شتى...للبنايات...للأسواق

[1] إدريس الخضراوي: أسئلة مابعد الاستعمار، ص259

[2] إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة مابعد الاستعمار، ص208

الشعبية...لكل التميز التاريخي، كأني أخشى أن تصبح أطلالا غائبة الملامح، فأجد في أرشيفي ما يشهد على هذه العبقرية في فن المعمار..."[1]

كما ظهر لنا هذا المكان يفقد هويته من خلال مجموعة من المتغيرات والأحداث التي عصفت به فتنقل لنا الروائية صورا عن قوات الاحتلال الأمريكي وهي تحاول إسقاط تمثال صدام حسين في ساحة الفردوس وكيف قام جندي أمريكي بتغطية التمثال بالعلم الأمريكي وكيف توزعت صور الرئيس وداست عليه أقدام الكثير،وكيف ظلت قرية صغيرة "أم القصر" في بغداد تقاوم لمدة أسبوعين حتى لا تنهب الهوية ولا تطمس الذاكرة....ولكن سقط التمثال وسقطت بغداد وضاعت مدينة السلام

"بغداد...أيها الجرح الذي انفتح في خيبتنا !

بغداد...ياعزة ورثناها مع ملامحنا فهوت، وهوت معها كل تفاصيلنا الجميلة لتتلقفنا الأرصفة الباردة أجسادا بلا ملامح !!" [2]

فالروائية أعادت التأسيس لهوية المكان بعد أن أطلعتنا عن جمالياته وما خلفه الأمريكان من قتل وحرق للمكتبات والمتاحف عبرت به عن الهوية المفقودة "إنها محرقة للكينونة والهوية والحضارة والتاريخ أن تباد شعوب بأسرها رغم تاريخ طويل من التواجد، ورغم مآثر حضارة كانت ذات يوم(...)لا يملكون شيئا على الرغم من بقايا حضارتهم الإنسانية التي منحت الكثير من الخير للبشرية "[3]

[1] الرواية: ص193

[2] الرواية: ص253

[3] سليم حيولة وآخرون: العين الثالثة، ص86

فقد صورت لنا الروائية لحظة سقوط بغداد بعد أن كانت حضارة وتحمل تاريخا لتهوى وتسقط فيصبح كل عربي مجروح فيه روحه ومعطوب في هويته بعد أن اندس الآخر (أمريكا) في هذه الذات (العراق) وتغلغل فيها هتك بها لتغرق بغداد في خيبة أخرى "قلب بغداد ينزف دما وهو ينظر بعيني الحسرة إلى حضارة أصبحت عند قدمي الحماقة تركلها متى تشاء..."[1]

كما حملت العراق بعدا آخر بحيث انعكس المكان على هوية الشخصيات في الرواية فمثلا يوسف الذي كان شاهدا على أحداث العراق وسقوطها أكسبه المكان هوية كان شاهدا عليها من جهة ومن جهة أخرى أكسبته العراق هوية ظلت ملتصقة به فجيعة لخسارة في الروح والجسد نجده يقول "يكفي أني فقدت رجولتي لأفقد القدرة على السمع, والكلام والتفاعل مع من حولي بشكل صحي...كنت فقط أحتاج إلى حقنة أخرى مهدئة لأستوعب أني لم أعد رجلا وأني لم أعد أصلح إلا أن أكون مهرجا على موائد القمار السياسي..."[2]

فبدلا من أن تكون العراق مكان يبعث فيه الأمل من جديد صارت مقبرة أخرى لا تقل بشاعة عن المقبرة التي عاشتها الشخصيات في أوطانهم وقد ظهرت لنا هوية العراق من خلال مجموعة من الأسماء التاريخية التي ارتبطت بالشوارع والحارات، مثل حارة المربعة

ساحة الفردوس، شارع الرشيد وغيرها والتي بقيت أسماء راسخة بذاكرة بغداد ومن بين أهم الأمكنة التي ظهرت في الرواية" شارع الرشيد"

شارع الرشيد:

يأخذ الشارع بعده الدرامي إذ يقوم يوسف بوصف شوارع بغداد بكل دقة فيصف ما يحمله الشارع من إرث حضاري وثقافي يعبر عن هويته وما يعيشه في مقابل ذلك من خوف وهو يجوبها رفقة إنعام وعمار، تلك الشوارع التي أضحى يسكنها الموت والخوف ثم يخص بذلك شارع الرشيد, وهو شارع في مدينة بغداد ارتبط اسمه مع اسم أحد أشهر الخلفاء "هارون الرشيد" للمكانة البارزة التي يحتلها الشارع "شارع الرشيد الذي كان أكثر ازدحاما من الآن وأنه الوجه الحضاري لبغداد...كنا صامتين نعبر معه من مكان إلى آخر نتلمس وجه شارع

[1] الرواية: ص248

[2] نفسه: ص286

أخد اسم هارون الرشيد الذي في عهده وصلت الحضارة الإسلامية إلى أوجها حتى سمي عهده بالعصر الذهبي...جزءا من ذاكرة شارع الرشيد وذاكرة بغداد "[1] إذا أصبح هذا الشارع حاملا لهوية أثناء تداخله مع اسم الشخصية تاريخية فأسس هذا الاسم لحضارة وهوية المكان, وقد أرخ هذا الشارع لأحداث مرت عليه وحوادث ارتبطت به حيث كان هذا الشارع شاهدا على دخول الجيش الأمريكي وسقوط بغداد فعبر عن هوية جامعة للشعب العراقي حاملا لذاكرة تاريخية فظهرت فيه هذه الهوية مجروحة يتجسد هذا في قول يوسف "...شارع مازال يتعلق بقميص هارون الرشيد و يقده من دبره عله يلتفت إلى بؤسه ويخلصه من دمار آت، أو ليعبر له عن عشق أسطوري...لم أشعر بالزهو لأني أحس أننا نمشي على أرض سيكون أديمها من أجسادنا..."[2]

علاقة الهوية بالاغتراب:

إن الهوية والاغتراب مفهومين متداخلان فالإنسان الذي يشعر بوجوده وبذاته، يحقق بصورة أخرى هويته وإن غاب الشعور بالذات أحس بالاغتراب وهو "شعور الفرد بضعف قدرته في التواصل مع نفسه ومع الآخرين مع صعوبة في حل المشكلات التي يواجهها في حياته اليومية وافتقاره إلى هذه واضح ومحدد يسعى إلى تحقيقه مع رفضه للقيم والقواعد السائدة في المجتمع وإظهاره سلوك يتسم بلا معيارية، واللا معنى وشعوره بالتمرد وفقدان الثقة بالنفس والتشيؤ في أنه أصبح شيئا فاقدا إحساسه بهويته مع الشعور بالعجز عن تحقيقها ما يدور في مخيلته"[3] أي أن الاغتراب مولد لأزمة الهوية كما أنه من بين الأسباب المؤدية إلى تزعزع الهوية وتشوهها.

وقد امتاز هذا المصطلح بنوع من الغموض وهذا لاختلاف مفهومه من مجال إلى آخر (سياسي، اجتماعي، نفسي...)

---

[1] الرواية: ص204

[2] نفسه: ص196

[3] ساجدة مراد اسكندر: الاغتراب وعلاقته بالهوية الوطنية لدى طلبة الجامعة، ص474

وهناك روايات عدة تناولت إشكالية فقدان الهوية والشعور بالغربة والاغتراب ومن بينها رواية "عائد إلى قبري" أين قدمت لنا الروائية هذا العمل وذلك لتصوير واقع مرير عاشته الجزائر أيام العشرية السوداء، سنوات من الظلم والاستبداد، إذ "يعد الاغتراب من أبرز الظواهر حضورا في الأدب العربي وخاصة في النص الروائي نتيجة الواقع المأزم سياسيا واجتماعيا وثقافيا، وأخلاقيا مما خلخل ثقة المبدع العربي من حوله، فعكست تجربته الأدبية ألوانا من القلق والحيرة والشك في الواقع "[1]

وتعد رواية "عائد إلى قبري" نموذجا للاغتراب الذاتي ليتحول إلى اغتراب اجتماعي ومكاني وسبب هذا الاغتراب الاجتماعي كما ظهر في متن الرواية ألا وهو التفكك الاجتماعي الذي لحق بالأسرة الجزائرية في زمن الأزمة (الجزائر) والذي لحق بالمجتمع العراقي في زمن الاحتلال الأمريكي على العراق

هذه الرواية ترسم لنا الاغتراب الذاتي والموضوعي بحثا عن الهوية المفقودة "ليوسف" نتيجة قهر الآخر وممارساته "الإرهاب"–وهي الذات التي انشقت عن نفسها لتصبح تمثل الآخر– وهو ماعمق الهوة بين الأنا والآخر وزاد في اغترابه

ولقد تجلى الاغتراب في الرواية من خلال شخصيتين رئيسيتين في الرواية وهي شخصية يوسف الجزائري، وعمار الفلسطيني اللذين عانيا الاثنين من الاغتراب الذاتي، واشتركا الاغتراب المكاني يقول يوسف "دائما أجلس خيبتي إلى خيبته... أتحاشى مواجهة عينيه(...) إن الأرواح تتآلف منذ اللقاء الأول أحسست أنك من أهلي وبعض دمي"[2]

لقد عاش بطل الرواية (يوسف) اغترابا ذاتيا وهو أقسى أنواع الاغتراب هو "حالة نفسية يشعر الإنسان من خلالها بانفصاله عن الآخرين وعدم الانسجام معهم، وعدم القدرة على التكيف الاجتماعي مما يضطره إلى الانعزال"[3] وهذا الاغتراب يكون معنوي حين يغترب الإنسان عن نفسه، ويتجسد ذلك الاغتراب الذاتي في الرواية في ذلك التمزق العاطفي بين زمنين كليهما مرتبط بحبيبة، فنجد أن هذه الرواية مكنت البطل من التعبير عن معاناته، وهذا

[1] نزيهة الخليفي: الاغتراب ومتاهة الذات في رواية تعويذة العيفة لتوفيق العلوي، شبكة ضياء، 5يناير، 2017 ،ص01

[2] الرواية: ص256

[3] جديدي زليخة: الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع8، جوان2012، ص351

ما جعلها تسبح في فضاء من المأساوية تعبر عن صرخة البطل وتشتت ذاته بين حبين لا يستطيع التعايش مع كليهما في الآن نفسه حيث نجده يقول "هل يمكن أن تتجاور حب امرأتين في قلب رجل واحد دون عراك أو صدام؟

هل يمكن للرجل أن يجمع في صدره بين صورتين لامرأتين برائحتي حب مختلفتين دون أن تختلط رائحة الأولى بالثانية أو تزاحمها؟

هل يمكن أن يلتقي وجهان مشرقان في كف رجل واحد, دون أن يخمش أحدهما الآخر ويتهمه باختراق حدوده الآمنة؟ "[1]

فيوسف يعيش اغترابا ذاتيا فهو ضائع بين حبيبته الأولى في الجزائر حب على خط الدم لامرأة صنعت ضعفه الإنساني الذي أخرجه من سجن العقل وعاد به إلى رحابة الفطرة

الأولى بكل عفويتها وصفائها ونقائها وفي بغداد حب لامرأة أخرى على خط النار صنعت فجائعه الإنسانية التي كان يهرب منها وقلبت تاريخه ومع ذلك كان يشتهي وجودها فالأولى تمثل الماضي والثانية أصبحت تمثل ذاكرته الجديدة.

كما يتجسد الاغتراب النفسي (الذاتي) في الرواية من خلال شعور يوسف بالفقد والضياع أولا في فقد والده الذي قتل أيام العشرية السوداء فأحدث ذلك زعزعة في ذاته فعاش انفصالا حادا ويظهر ذلك في قوله "أتكوم إلى جانب رأس أبي الذي قتلوه ثم فصلوا رأسه عن جسده

ورموه كما ترمى فضلات الطعام..."[2] وثانيا بعد بتر رجله في العراق أثناء قيامه بتغطية الأحداث هناك فمأساته اكتملت بمكان غربته يوم وجد نفسه في مستشفى العراق وحيدا إلا من فجيعته نجده يقول"لم أجد من أهلي من يبكي على ساقي التي تركتها في غرفة العمليات ببغداد، ولا أدري ما فعلوا بها..."[3]

---

[1] الرواية: ص233

[2] الرواية: ص54

[3] نفسه: ص13

–ولعل الاغتراب ارتبط كثيرا بالشخصية الفلسطينية في كثير من الروايات وهذا ما نلاحظه في رواية "عائد إلى قبري" إذ تجلى الاغتراب الذاتي والاجتماعي والمكاني بصورة واضحة وجلية من خلال شخصية عمار الفلسطيني، والذي لم يستطع أن يتخلص من اغترابه الكامن في ذاته لما تعرض له من قهر في مجتمعه وخيبة في بلده.

فقد عاش اغترابا ذاتيا يوم ولد في أرض تعيش النكبات والخيبات فلم يكن له إلا أن يكون ثائرا وعاش اغترابا ذاتيا وهو يحن إلى ولده الذي لم يره منذ ولادته، عاش اغترابا ذاتيا يوم وجد نفسه مع زوجة ساقها القدر إليه ليلتقيا على خراب ويفترقا على خراب أكبر.

لا يختلف الاغتراب المكاني في صورته المأساوية عند عمار والذي كان يرى في يوسف صديق يؤنس معه غربته الذي لم يستطع التحرر من أحزانه وأوجاعه فيها فكان يشاركه ذكرياته كمحاولة منه للهروب من حالة الاغتراب التي يعيشها "قال لي وهو ينظر إلى عيني كأنه يقبض على حلم قديم–كنت دائما– أتوق لأن ألتقي بجزائري وأجلس إليه(...) الأيام هنا ستمضي بنا عسيرة ولن نجد ما نخفف به عن أنفسنا سوى أن نجتر ماضينا ونلوك أوجاعنا"[1]

عمار كان نموذجا لما يعيشه كل فلسطيني من اغتراب، حتى وهم في أوطانهم من قتل وتشريد يواجهها كل فلسطيني في واقعه فما تخلفه كل مرة الاحباطات والخيبات والنكبات تؤدي بالإنسان إلى غربة في الذات والروح يجسد هذا قول عمار "نحن نشبه ولذا ظل يعتقد أن أباه خلف له ثروة كبيرة، لكن عندما تقدم به العمر نحو الخيبة اكتشف أنه لم يورثه سوى نكبات وخيبات سيظل يسددها بتقسيط غير مريح وبمقاومة لا تنتهي (...) فجأة وجدنا أنفسنا أيتاما في مأدبة اللئام بعض أن نفض العرب أيديهم من قضيتنا....."[2]

[1] الرواية: ص186, 187

[2] نفسه: ص208, 209

ثم يقدم لنا يوسف صورا يظهر فيها اغتراب عمار عن ذاته وعن مجتمعه حين أخبرته إنعام بأنه قتل فيخبرها بكل ألم وفجيعة أن عمار مقتول منذ الولادة الأولى فيظهر اغتراب عمار في صوت يوسف وهو يقول:

"عمار... مقتول منذ الولادة الأولى، منذ أن كان نبتة في رحم أرض لاحق له في ترابها ولا هوائها

عمار مقتول منذ أن خرج من وطنه عاريا إلا من فجيعته وكاميرا يعلقها على صدره, ليصور بها سقطات عصر مجنون(...) عمار عاش متدثرا بكفن الشهيد منذ أن نسبه أبوه إلى المرأة التي أحب ومنحه اسم شهيد من الجزائر، عمار لم يكن يوما حيا..."[1]

نجده يقول "من الليلة الأولى عرفت أن مابيننا لم يكن زواجا ولا حبا بل هو تزاوج بين جسدين من صلب وطن يتدحرج, ويتقارب بين بقايا امرأة وشبح رجل يظهر حينا ويختفي في كثير من الأحيان"[2]

أما الاغتراب المكاني من خلال هذين الشخصيتين فتظهر من خلال مغادرتهما لبلدهما الأصلي إلى العراق، فيوسف غادر من الجزائر هروبا من واقع اجتماعي عاشته الجزائر في زمن الأزمة إلى العراق والذي ظن أنه سيعود منها نجما في عالم الصحافة لكن حين نزوله بها لم يرى العراق الذي حلم بها وجدها على غير عادتها مدينة عابسة تعيش فتنة كبيرة نلامس هذا في قوله "لم أجد صورة الحجاج ولا صورة هارون الرشيد بل مدينة تتمدد داخل خيبة ساكنة...مدينة تشبه المقبرة (...) بغداد, كانت على غير عادتها...أحسست أنها الكريم الذي يريد أن يمنحك كل ماعنده لكنه يجد نفسه فارغ اليدين والقلب والصدر، فلا يزيد على أن يهديك ابتسامة فيها رائحة الموت الرحيم..."[3]

---

[1] نفسه: ص281, 282

[2] نفسه: ص215

[3] الرواية: ص180, 190

كما يظهر الاغتراب المكاني حين راوده الحنين اتجاه بلده وأهله وحبيبته بالجزائر نجده يقول "كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل عندما وضعت رأسي على الوسادة وذهبت في نوم هزمته أخيرا بعد أن غلبني شوقي لبلدي ولسعاد ولعينيها اللتين كانتا على استعداد دائم لأن تحضنانني, طيفها نام معي تلك الليلة وجاور روحي (...) وكأنني كنت في حاجة لأن أحضن ولو وسادة متهالكة لأحس ببعض التوازن والدفء..."[1]

تقاطع التاريخ مع الهوية في "رواية عائد إلى قبري"

يلعب التاريخ دورا مهما في تشكيل الهوية باعتباره مكون أساسي من مكوناتها وهذا ما أكد عليه أليكس ميكشيللي بقوله:"يشكل تاريخ الجماعة منطلقا لتجديد هويتها، إذ تتجذر هوية الجماعة في تاريخها"[2] وهو مايؤكده أيضا حسن الوراكلي بقوله:"كان التاريخ مقوما من أبرز مقومات الهوية الثقافية للأمم والشعوب"[3]

[1] نفسه: ص260

[2] أليكس ميكشيللي: الهوية، ص23

[3] حسن الوراكلي: المسلمون وأسئلة الهوية، ص72

فمن خلال هذين القولين يتبين لنا أن الهوية الجماعية مرتبطة ارتباطا وثيقا بتاريخها، ولا يمكن أن نتصور هوية خارج البعد التاريخي للجماعة ولقد ارتكزت الرواية "عائد إلى قبري" على أحداث ماضوية من خلال الشخصيات والأمكنة وربطها بالحاضر

فيبدو التاريخ جليا في الرواية لأن الكاتبة أعادت إحياء بقايا الذات الضائعة وإعادة تكوين هويتها من جديد من خلال دمجها لأحداث تاريخية مع أحداث الرواية

فتحدثت الكاتبة عن مرحلة دامية مرت بتاريخ الجزائر لا يزال كل عربي يتحدث عنها ومرحلة من التاريخ العراقي أثناء الإنزال الأمريكي وسقوط بغداد، فهوية أي أمة تعرف وتشكل من خلال تاريخها باعتبار الماضي هو وعاء التاريخ، فنجد التاريخ في "رواية عائد إلى قبري" متمثلا من خلال مجموعة من الشخصيات التاريخية، والتراث بمحموله الثقافي والديني والاجتماعي مرتكزة بذلك الكاتبة على أحداث تاريخية في الجزائر والعراق.

1-التراث:

لكل مجتمع مظاهر حضارية وخصائص متنوعة من عادات وتقاليد تميزه عن بقية المجتمعات الأخرى من خلال زي تقليدي أو فن معماري أو تراث شعبي (الأمثال,الحكم الأغاني.....) وغيرها من الخصائص التي تشكل ما يعرف بالتراث "وهو كل ما وصل إلينا من الماضي البعيد ويعرف التراث على هذا الأساس بأنه كل ما ورثناه تاريخيا" [1] ولكي

[1] محمد رياض وتار: توظيف التراث في الرواية العربية، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، دط، 2002, ص21

يستطيع الإنسان أن يستمر في حياته بشكل صحيح لا بد له من التعرف على ماضي أجداده والجميل أن يحتفظ بما تركوه كإرث ثقافي لا يمكن الاستغناء عليه لأنه يمثل هويته المتوارثة من جيل إلى جيل، فالحفاظ على التراث هو حفاظ على الهوية يقول أحد المفكرين:"إن علينا أن نتطلع إلى المستقبل، وأن نعمل له جاهدين، وأن نحتفظ، في الوقت نفسه، بتراثنا الماضي ماثلا أمامنا لكي نستمد منه القوة والعزيمة وخير مستقبل لنا،هو ماكان قائما على الحاضر والماضي على السواء أما أن نتنكر للماضي أو ننزع أنفسنا منه فمعناه اقتلاع أنفسنا من تربتنا فنخرج منها وقد يبس عودنا وجف ما فيه من عصارة الحياة[1]

فلا نكاد نجد أي رواية جزائرية تخلو من توظيف مجموعة من العادات والتقاليد والأقوال والحكم التي يتميز بها الجزائري وكأن أي روائي جزائري يريد التأصيل لهويته من خلال التراث "فلا هوية بدون تراث تستند إليه ولا تراث إذا لم يؤسس للهوية، فالتراث والهوية عنصران متلازمان من عناصر الذات، ومكونان متكاملان من مكونات الشخصية الفردية والجماعية "[2]

إن هدف توظيف التراث في الرواية الجزائرية هو دعوة إلى التمسك بثوابت ومقومات الأمة العربية الإسلامية وهذا ماسعت إليه زكية علال في روايتها "عائد إلى قبري " لتعرف الآخر بحضارة وثقافة كل عربي بصفة عامة والجزائري على وجه الخصوص

ولقد شكلت العادات والتقاليد حضورا بارزا في رواية "عائد إلى قبري " إذ هي جزء لا يتجزء من البنية السلوكية الطبيعية التي يمارسها الإنسان الجزائري في حياته اليومية فالعادات والتقاليد توارثها الإنسان ومارسها بطريقة عفوية فكانت الأكلات الشعبية (الطمينة والكسكس) واللباس التقليدي والأمثال الشعبية صورة واضحة للتراث في الرواية، فنجد يوسف مثلا يقول:"سمعت ذات مساء وأنا أمر من أمام دارها لعلي آتي بخبر يقين عن سبب انقطاعها عن الدراسة زغاريد متعالية، ورأيت نسوة يتوافدن على الدار وعرفت أنها وليمة عرسها..."[3]

---

[1] عبد العزيز بن عثمان التوجيري: التراث والهوية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، اسيسكو، الرباط، دط، 2011، ص15

[2] نفسه: ص20

[3] الرواية: ص21

فالزغاريد والولائم هي من العادات والتقاليد التي استقرت في وعي الإنسان لتكون وسيلة نعبر بها عن الأفراح والمناسبات، فلم تفقد الأعراس الجزائرية أصالتها رغم التطور إذ ظلت الولائم عادة يتمسك بها كل جزائري

ونلتمس أيضا عادة تطرقت إليها الروائية لا نزال نجدها لصيقة بالجزائري وهي ترتبط بالشهامة والرجولة والتي يعدها الكثير من العادات التي توارثناها فطريا وسلفا وهي غيرة الشاب الجزائري على شرف بنات قريته وان غابت قرابة النسب بينهم ويتجسد هذا في الرواية من خلال محاولة يوسف وأصدقاءه بحماية فيروز وبنات القرية أثناء توجههم للدراسة "كنا نسلك الطريق الزراعي وأحبس خطواتي حتى تلتحق بنا هي وزميلاتها ثم أسير خلفهن أنا وحسن ومصطفى ومراد، كنت أبرر هذا التصرف بأنه شهامة منا، ويجب أن نحمي بنات القرية من غدر الطريق...."[1]

كما يعد اللباس التقليدي مظهر من مظاهر الهوية الجماعية وجزء لا يتجزء من تراث الأمة فقد أشارت الروائية إلى اللباس(منديل) التي كانت تتزين به المرأة الجزائرية في الماضي وفيه ارتباط وعمق تاريخي وتراثي للأصالة والحضارة والعادات والتقاليد ويظهر ذلك في قول يوسف:"ولأول مرة ينكشف شعر أمي، كانت دائما تغطي شعرها بمنديل ناعم يختلط فيه الأحمر والأسود، ويغلب عليه الأحمر، وأحيانا يختلط الأحمر بالبيض، ويغلب عليه الأبيض تقول أنه "شامي حر" لأن أبي جلب لها مجموعة من مناديل الرأس مختلفة الألوان

من البقاع المقدسة أثناء أدائه لمناسك الحج..."[2] فهذا اللباس التي تميزت به الجزائريات على وجه الخصوص عبر عن التاريخ من جهة وعبر في ذات الوقت على خصوصيتهم وأصالتهم كما تعود بنا الكاتبة بلبس إلى زمن الملوك والسلاطين زمن هارون الرشيد ليكون معبرا عن الانتماء الثقافي لحضارة عريقة فكان وصف يوسف للباس هارون الرشيد عنوانا مميزا لهوية شعب وحضارة أمة ويتجسد هذا في قوله: "...فإذا هو هارون الرشيد بلباسه الحريري الذي يتصدره قفطان بنفسجي زاه بلونه وأكمام ضيقة محلاة بالذهب، وقلنسوة طويلة مزينة بجوهرة غالية(...) وأقمشة فاخرة وعطور كأنه يريدهم أن يستنشقوا عطر الحضارة التي

[1] نفسه: ص20

[2] الرواية: ص48

تمشي على قدمين من ذهب "[1] أرادت زكية علال أن تعبر عن هوية مفقودة من خلال ما تزخر به من موروث تاريخي بالزي العباسي المعبر عن الموروث التاريخي الذي يعكس الماضي.

كما حاولت زكية علال أن تبرز هوية هذا البلد (الجزائر) وأصالته من خلال الأكلات الشعبية التي لها دورها الخاص ضمن الفنون الشعبية فكانت (الطمينة، الكسكس، الشخشوخة خبز الدار، الفطائر) تعبر عن التراث الجزائري وإن اختلفت من منطقة إلى أخرى والتي ترمز إلى تراثنا الحضاري ويتجسد ذلك في الرواية من خلال ذلك المغترب الذي عاد إلى فرنسا محملا بمجوعة من الأكلات الشعبية "كان يرجع إلى فرنسا محملا بالكسكس والطمينة وخبز الدار، هذه الأكلات الشعبية التي تذكره بملامح أمه التي كانت ماهرة في طهي الكسكس ويضرب بها المثل في القرية كلها "[2]وهذا التراث كان حبل وصل بين الأجيال فمثلا نجد هذه الأكلات حافظت عليها الأمهات وهن في زمن الأزمة والانكسارات نجد هذا متجسدا من خلال استرجاع يوسف لتلك الأطباق الشعبية(الفطائر) التي كانت تقوم بتحضيرها أمه فنجده يقول: "نجلس في انتظار أن تخرج أمي بصينية نحاسية تسبقها رائحة الفطائر التي أعدتها

وتضعها على المائدة الجاهزة للحب...فطائر أمي نشتهيها أكثر من أن نأكلها...ويعبق المكان برائحة الزيت وهي تلامس عجينة الفطائر"[3]

كما أرادت الروائية أن تؤصل لهوية الأمة العربية والعراقيين على وجه الخصوص من خلال الفن المعماري العراقي الراقي والذي يعبر عن التاريخ الفكري والثقافي والعلمي للأمة العربية التي كان يؤسسها العرب في عصر من العصور ولأن "البحث عن هوية العمارة هو بحث عن هوية الأمة وبالمقابل فان العمارة يشف عن هوية الأمة التي أفرزت هذا الفن أو

---

[1] نفسه: ص175, 176

[2] نفسه: ص21

[3] الرواية: ص47

ذاك(...) فان قراءة تاريخ العمارة يجب أن يبدأ بقراءة تاريخ حضارة الأمة لأن بناء العمارة هو جزء من كيان الأمة وبهذا المعنى فان هوية العمارة تعني انتماء هذه العمارة إلى حضارة معينة خلقتها أمة معينة "[1] فطريقة البناء في الفن المعماري العراقي والتي تزينها الزخاريف والنقوش والقباب لا تعبر إلا عن وجه بغداد العريق ويتجسد هذا في الرواية من خلال: "انظرا إلى هذه البنايات، إلى هذا النمط المعماري البغدادي الذي يتميز بتناغم متناسق بين الناحية الوظيفية والناحية الجمالية، فقد راعى المعمار العراقي عند تشييد الدار الظروف المناخية وجعل النوافذ المطلة على الخارج قليلة الفتحات ومقاربة لنوافذ الجانب الآخر من الدور, كما جعل الفسحات المكشوفة متجهة لوسط ليوفر جوا مظللا(...) فعلا إنها عبقرية المعمار العراقي, ولا أعتقد أنه توجد مدينة في العالم بكل هذا التألق الحضاري" [2]

فالتراث هو الماضي بجميع فنونه وعاداته وتقاليده وهو الحاضر بكل تحولاته وهو المستقبل الذي يتماشى معنا

2-الشخصيات والأمكنة التاريخية:

تبرز ثقافة الكاتبة من خلال توظيف مجموعة من الأمكنة والشخصيات في الرواية بطريقة واعية وبصورة واضحة تتماشى مع أحداث الرواية، فعادت الروائية إلى شخصيات عربية (هارون الرشيد، الحجاج بن يوسف الثقفي) مشهورة ومرموقة في التاريخ والعالم ذات صيت مسموع وعلى أمكنة عريقة (الأندلس) لتكون شاهدة على هوية العرب

أ- شخصية هارون الرشيد والحجاج:

[1] عفيف البهنسي: الهوية الثقافية بين العالمية والعولمة، منشورات وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دط،2009، ص149

[2] الرواية: ص192، 193

يعد هارون الرشيد والحجاج من بين الشخصيات التي لمع اسمها في كثير من الأعمال الروائية، فهارون الرشيد هي شخصية تاريخية إسلامية من أشهر الخلفاء العباسيين أما الحجاج فهي شخصية ضرب بها المثل في البطش نظرا للإجماع التاريخي القوي على ارتباط اسمه بالظلم والتنكيل والبطش والتعصب للرأي فقد استدعت زكية علال هذين الشخصيتين لتعود بنا إلى الماضي وتنبش في عمق التاريخ وتذكرنا بحضارة بغداد فكانتا هذين الشخصيتين التاريخيتين جزءا من أحداث الرواية، حيث استدعت الروائية هارون الرشيد في حوار مع شخصية البطل (يوسف) في الطائرة الذاهبة إلى بغداد (حلم يوسف بهارون الرشيد وحواره معه)، من أجل أن تعرفنا بحضارة بلاد الرافدين فاستدعت الماضي لتؤلف النسق الواقعي الراهن "هارون الرشيد, هذا الحكيم الذي ظل يغزو عاما ويحج عاما يجلس اللحظة إلى جانبي بهيا، حالما وشبيها بملوك الأساطير التي تخرج من حكايا ألف ليلة وليلة(...) هارون الرشيد الآتي من أيام كانت لنا إلى أيام تسللت من بين أيدينا لتصبح مجرد قواعد عسكرية أجنبية تراقب أحلامنا وتدوس على ما تبقى من شرفنا..."[1]

فربطت زكية علال هذه الشخصية(هارون الرشيد) لتعرفنا بحضارة بغداد أيام العصر العباسي أيام ازدهار الحضارة الإسلامية وكيف كان العرب ينتجون الحضارة فازدهرت في عهده العلوم والآداب فكانت مكتبة الحكمة أشهر المكاتب التي أسسها هارون الرشيد "هذه المكتبة التي كان هو أول من أسسها وازدهرت في عهد ولده المأمون الذي اشترط على ملك الروم في معاهداته وبعد انتصاراته أن يسمح للمترجمين المسلمين بترجمة الكتب التي في مكتبة القسطنطينية، وصارت مكتبة بغداد لا يخيل كم العلم الذي بداخلها ...نمت على ثقة أن سيف الحجاج سيقطع رأس كل فتنة..." [2] فعادت الكاتبة مستلهمة شخصيات تاريخية من أجل أن تطلع الذات العربية على التاريخ العربي، ومن أجل أن تستعيد ذاكرة الماضي المجيد فما كان عليه العرب من قوة يعبر عن ماض مشرق أصبح حاضرا بائسا يتجسد هذا في حوار الحجاج مع يوسف "ومن ذا الذي يجرؤ على أن يمس حضارتنا التي أضاءت الكون؟

قلت وقد استرخى خوفي ليصبح حزنا:

---

[1] الرواية: ص176, 177

[2] الرواية: ص179

-شيطان أمريكا.

سمعت له قهقهة عظيمة أعادتني إلى رعبي الأول وهو يقول متهجيا الاسم:

-أم.ري.كا...ومن تكون هذه الأمريكا؟ لم نكن نسمع لها صوتا عندما كنا نهوي على إمبراطورتي الروم والفرس ونعيد ترتيب خارطة العالم لنسود الأمم ونتحكم في بوصلة الحضارة "[1]

أما في الأخير فقد استدعت الروائية شخصية هارون الرشيد والحجاج بصورة حزينة تدل على الحالة الدامية التي تعيشها بغداد أثناء سقوطها لتقول لنا بأن لا صورة هارون الرشيد ولا صورة الحجاج بقيت على حالها فكما هوى كبرياؤنا أمس هاهو يهوى من جديد، يتجسد هذا في قول يوسف: "الرشيد عجز حتى أن يحمي مكتبته من المذبحة ...الحجاج أيضا انكسر سيفه وتعثر شيطانه ولم يستطع أن يمنع فتنة ستعمر طويلا في شوارع بغداد..." [2]

ب-الأندلس:

هي من الأماكن التاريخية التي قامت بتوظيفها كثير من الروايات حيث شكلت الأندلس باعثا ملهما للكثير من الأدباء باعتبارها من البلدان الإسلامية التي بلغت أوجها من الحضارة

فبلغت عصرها الذهبي من رخاء اقتصادي وعدل اجتماعي وتطور علمي عبرت عن هوية المسلمين لتصبح هوية غائبة

[1] نفسه: ص178، 179

[2] نفسه: ص287

فقد وظفتها زكية علال في روايتها "عائد إلى قبري " لتقارن ضياع بغداد بضياع الأندلس فالذي يراجع سقوط غرناطة يجد تشابها بين سقوطها وسقوط بغداد نجد يوسف يقول: "ساحة الفردوس التي أصبحت مزبلة للتاريخ وهي تكشف عن عيوبنا، وتعري شعبا يرسم الخطوط الأولى لجغرافية نهايته...ساعتها قفزت إلى ذهني صورة غرناطة وهي تهوي كآخر مدينة في جنة الأندلس...[1]

فهاهي بغداد تسقط على يد العدو الأمريكي الذي حاول طمس الهوية العراقية أرض تئن لكن أنينها لا يسمعه إلا القريبون منها, وطن تعرض للغدر من طرف حاكم مستبد ديكتاتوري كان سببا في سقوط حضارة عريقة، فالأندلس في الرواية اقترنت بخيبة سقوط بغداد فحمل التطلع إلى الأندلس خيبة الأمل أي مثلما ضاعت منا الأندلس ها قد ضاعت منا بغداد "الأندلس اقتطعت من جسد الأمة قطعة بعد الأخرى ليأتي هو ويسلم القطعة الأخيرة عن طوع تشبه الكراهية أو عن كراهية تشبه الطوع وليكون شاهدا على قبر كان مفتوحا(...) الصفعة كانت هناك ليلة سقوط غرناطة

هنا...

ليلة سقوط بغداد

هنا...

في ساحة الفردوس، لم يجدوا أما حكيمة تعلمهم فن البكاء وتؤنبهم على ضياع وطن كان شامخا حتى اللحظة الأخيرة "[2]

لقد تعرضت بلاد الرافدين إلى الكثير من الخيانات والفتن أولا الغزو المغولي بقيادة هولاكو خان فكان هدفه إلحاق الدمار والخراب وتدمير التراث الفكري والقضاء على الحضارة البغدادية لتلحق خسارة أخرى على يد الغزو الأمريكي كانت تقضي على ما تبقى من ذاكرة بغداد

[1] الرواية: ص250

[2] الرواية: ص250

فالروائية أعادت تاريخ سقوط بغداد لتعيدنا إلى تاريخ سقوط غرناطة فهي الدولة الإسلامية الوحيدة في الأندلس التي ظلت صامدة في وجه العدو إلى أن قام ملكها(غرناطة) بالتنازل عن آخر معقل للمسلمين بالأندلس وإن وجد ملك الأندلس أما تؤنبه على ضياع حضارة شامخة حين" دخلت عليه أمه وصفعته بحقيقة ضعفه إنك تبكي بكاء النساء على ملك لم تحافظ عليه حفاظ الرجال " [1] أما بغداد فلم تجد أما حكيمة تعلمهم فن البكاء "الهستيريا التي أصابت العراقيين وجعلتهم يضحكون وعيونهم دامعة، ويرقصون فرحا وقلوبهم تنزف " [2]

[1] الرواية: ص251

[2] نفسه: ص249

خاتمة

–ها نحن نخط بأقلامنا الخطوط الأخيرة لهذا البحث المعنون "إشكالية الهوية في رواية عائد إلى قبري" حيث توصلنا إلى مجموعة من النتائج من أبرزها:

*رواية عائد إلى قبري هي رواية عامرة بالأحداث المثيرة والمؤلمة لأنها تجري أحداثها بين الجزائر وبغداد، أين عاش الشعب الجزائري سنوات من الرعب والخوف وامتزجت بسفك الدماء أطلق عليها اسم العشرية السوداء, وسقوط حضارة عريقة على يد الغزو الأمريكي هي حضارة بغداد

*حملت الرواية في طياتها واقع مرير عاشته الكثير من الفئات في المجتمع ليعري تاريخ فترة دامية من الجزائر ويعري مرة أخرى تاريخ انتمائنا لبلاد الرافدين

*تناولت الرواية حالة من التزعزع تعبر عن هوية مفقودة في كثير من الشخصيات بدءا من شخصية يوسف وانتهاء بشخصية عمار

*تنوعت دلالة الاغتراب في الرواية بين الاغتراب الذاتي والمكاني وتجسد بصورة واضحة من خلال شخصيتي يوسف وعمار، أثناء شعورهما بالفقد والضياع، فعاش كل واحد منهما اغترابا ذاتيا في وطنيهما (الجزائر، فلسطين) واغترابا آخر خارج وطنيهما (العراق)

*تجلى في الرواية عامل رئيسي في الاغتراب الذاتي والمكاني وذلك من خلال ما تخلفه النزاعات والحروب في هوية الشخصيات وتشوهها

*تجاوز المكان صورته النمطية كونه مجرد شيء صامت إلى عنصر مهم يحمل دلالة عميقة فان كانت الأمكنة تنهار وتموت فإنها تحيا بالذاكرة

*المكان في الرواية ليس مجرد أبعاد هندسية وجغرافية إنما حمل هوية بقيت شاهدة عليها الكثير من الشخصيات

*في الرواية أخذ المكان يعبر عن مجموعة من الهويات، الهوية الذاتية كالقرية، الهوية الاجتماعية كالشارع، الهوية الحضارية (شارع الرشيد بالعراق)

*يلعب التاريخ في الرواية دورا مهما فالهوية تتجلى في التاريخ الذي يمثل الذاكرة حيث قامت الروائية بتوظيف التاريخ من خلال مجموعة من الشخصيات والأماكن التاريخية مثل شخصية هارون الرشيد والحجاج أين استدعت الروائية هاتين الشخصيتين لتعود بنا إلى الماضي وتطلعنا على حضارة بغداد الراقية أما الأندلس فقد وظفتها لتقارن لنا ضياع بغداد بضياع الأندلس

*كان التاريخ والتراث مادة الكاتبة في نقل الهوية الجزائرية والعراقية فكانت العادات والتقاليد واللباس التقليدي والفن المعماري العراقي حاضرا في الرواية معبرا عن هوية الأمة

*لا يمكن حصر مفهوم الهوية في مكان الولادة فقط فيوسف ولد في الجزائر، وعاش فترة في العراق سمحت له أن تكون جزء من هويته

ملحق

ملخص الرواية:

رواية عائد إلى قبري للروائية الجزائرية زكية علال هي رواية سجلت أحداثها بين الجزائر والعراق, تحكي عن فترتين قاسيتين من تاريخ الجزائر والعراق، الجزائر في زمن التسعينات والذي تعرضت في ذلك الوقت إلى فتنة كبرى عصفت بالكثير من الخيريين في المجتمع كما تتحدث عن فترة الإنزال الأمريكي بالعراق وسقوطها

رواية بنيت على كثير من الأحداث المؤلمة تصور مجموعة من مشاهد الفقد على ألسنة الكثير من الشخصيات

تدور أحداث الرواية حول شخصية يوسف شاب جزائري من إحدى القرى الجزائرية والذي عاش فجيعة مقتل والده بطريقة بشعة في زمن الأزمة فيحيا على صدمة لا زمته العمر كله حين عثر على رأس والده في كيس قمامة يلتحق بالجامعة ويتخصص في المحاماة، تحقيقا لرغبة والده، هناك يلتقي بفتاة تدعى سعاد وتنشئ بينهم علاقة حب تلك الفتاة التي غيرت خارطة أحلامه والتي كانت سببا في ولوجه إلى عالم الصحافة، وليتخلى عن شهادة المحاماة وينفتح على واقع مليء بالأوجاع والانكسارات مع كل ملف أو قضية يفتحها تبدأ نقطة التحول في حياة يوسف حين يقبل بمهمة صحفية يقوم من خلالها بتغطية الأحداث في العراق, فينتقل إلى هناك وتنشئ علاقة حب جديدة مع صحفية مصرية فيعش صراع وانقساما في الذات بين حب يعود به إلى الجزائر وحب في العراق يعبر عن انتمائه كما يسميه، ولكن لم يشفع له حبه هنا ولا هناك, إذ يعيش مأساة أكثر من مأساته التي عاشها في بلاده فيكون شاهدا على فتنة بدأت برأس والده وانتهت بسقوط بغداد ويكون شاهدا على تاريخ يعري انتمائنا فيعود مجددا لبلده بعطب في القلب والروح وإعاقة في الجسد والرجولة بعد أن بترت ساقه هناك واندثرت أحلام

السيرة الذاتية للكاتبة:

زكية علال من مواليد 1966بمدينة زغاية–ميلة– شرق الجزائر متخرجة من المعهد التكنولوجي للتربية، أستاذة اللغة العربية بدأت الكتابة في منتصف الثمانينات, اسم متألق ومتميز في سماء الكتابة الجزائرية، اسم يرتفع في هدوء واتزان، يلتحق عن جدارة بأكبر أسماء الروائيات العربيات، نشرت العديد من أعمالها الأدبية عبر أشهر الجرائد الجزائرية من بينها:النصر، المساء، الشعب،الجمهورية، الأحرار، الشروق، نشرت بمجلة المنتدى بإمارة دبي وشاركت في عدة ملتقيات وطنية

–نالت زكية علال عدة جوائز منها:

*الجائزة الثانية للقصة عن مديرية الثقافة لولاية بومرداس

*الجائزة الأولى في القصة لوزارة المجاهدين سنة 2003عن قصة بعنوان "نزيف آخر الشرايين"

*الجائزة الأولى في القصة لوزارة المجاهدين سنة2007عن قصة بعنوان "جنون فوق العادة"

*جائزة كتامة للقصة سنة2005

*الجائزة الأولى للعلامة عبد الحميد بن باديس في السرد والتي نظمها المجلس الولائي قسنطينة سنة2008

*جائزة في مسابقة أدبية نظمتها إذاعة إل بي سي مع مجلة العربي عن قصة "لعنة القبر المفتوح"

*جائزة في مجلة المنتدى بالإمارات العربية المتحدة

*كما كرمت من طرف الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب في مطلع عام2008ضمن 149 كاتبا عربيا

*أجريت معها عدة حوارات لعدة جرائد ومجلات منها: الملحق الثقافي لجريدة الثورة السورية، جريدة النهار الكويتية، جريدة اليوم، وكثير من المواقع الأدبية

*لها عدة إصدارات منها:

*وأحرقت سفينة العودة مجموعة قصصية عن رابطة إبداع الوطنية

*لعنة المنفى عن دار يحي للكتاب سنة2005

*رسائل تتحدى النار والحصار عن مركز نهر النيل للنشر سنة 2009وعن دار ابن الشاطئ للنشر2015

*شرايين عارية عن دار ابن الشاطئ للنشر2015

*رواية عائد إلى قبري عن دار الأوطان2015[1]

[1]زكية علال: عائد إلى قبري, دار الأوطان, الجزائر, ط1, 2015

قائمة المصادر و المراجع

*القرآن الكريم

أولا: المصادر:

-زكية علال: عائد إلى قبري, دار الأوطان, الجزائر, ط1, 2015

ثانيا: المراجع:

-أحمد بعلبكي: الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر, مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت,ط1, 2013

-إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة مابعد الاستعمار, رؤية للنشر والتوزيع, القاهرة ط1, 2012

-جميل حمداوي: مستجدات النقد الروائي, دار الألوكة, ط1, 2011

-حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي, الفضاء, الزمان, الشخصية, المركز الثقافي العربي بيروت, ط1, 2009

-حسن حنفي: الهوية, المجلس الأعلى للثقافة, القاهرة, ط1, 2012

-حسن الوراكلي: المسلمون وأسئلة الهوية, جمعية البعث الإسلامي, دط, 2012

-رمزي منير بعلبكي: اللغة والهوية في الوطن العربي, إشكالات تاريخية وثقافية وسياسية المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات, بيروت, ط1, 2013

-سعد البازعي: الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف, المركز الثقافي العربي, المغرب, ط1 2008

-سليم حيولة: العين الثالثة, تطبيقات في النقد الثقافي وما بعد الكولونيالي, دار ميم للنشر والتوزيع, الجزائر, ط1, 2018

-عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام, ديوان المطبوعات الجامعية, ج1, الجزائر, دط 1995

-عبد السلام المسدي: الهوية العربية والأمن اللغوي, دراسة وتوثيق, إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات, بيروت, ط1, 2014

-عبد العزيز بن عثمان التويجري: التراث والهوية, منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة, اسيسكو, الرباط, دط, 2011

-عفيف البهنسي: الهوية الثقافية بين العالمية والعولمة, منشورات وزارة الثقافة, الهيئة العامة السورية للكتاب, دط, 2009

-علي حرب: حديث النهايات, فتوحات العولمة ومآزق الهوية, المركز الثقافي العربي المغرب, ط2, 2004

-عمر عبد العالي علام: الأنا والآخر الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر, دار العلوم للنشر والتوزيع, القاهرة, ط1, 2005

-عبد الواسع الحميري: الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع, لبنان, ط1, 1999

-لطيفة إبراهيم خضر: هويتنا إلى أين؟ عالم الكتب, القاهرة, ط1, 2009

-ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر, نماذج روائية غربية, عالم المعرفة, المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب, الكويت, دط, 2013

-محمد بوعزة: تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم, منشورات الاختلاف, الجزائر, ط 1, 2010

-محمد رياض وتار: توظيف التراث في الرواية العربية, دراسة منشورات اتحاد الكتاب , سوريا, دط, 2002

-محمد الزحيلي: وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه, جمعية الدعوة الإسلامية العالمية, دط, 1991

-مصطلح النجار: الدراسات الثقافية والدراسات مابعد الكولونيالية, الأهلية, الأردن, ط1 2008

-محمد عابد الجابري: العولمة والهوية الثقافية, المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت, دط, 1999

-محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر, دط, 2003

-محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية, نهضة مصر للطباعة والنشر, القاهرة ط1, 1999

-محمد معتصم: المتخيل المختلف, دراسات تأويلية في الرواية العربية المعاصرة, دار الأمان, الرباط, ط1, 2014

-محمد الهرماسي: مقاربة في إشكالية الهوية المغرب العربي المعاصر, دار الفكر, دمشق دط, 2001

-نادر كاظم: تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت, ط1, 2004

يحي العبد الله:الاغتراب, دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية, دار الفارس للنشر والتوزيع, عمان, ط1, 2005

-المراجع المترجمة إلى العربية:

-أليكس ميكشيللي: الهوية, تر: علي وطفة, دار الوسيم للخدمات الطباعية, دمشق,ط1 1993

-أمارتياصن:الهوية والعنف, تر: سحر توفيق, عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب, الكويت, دط, 2008

-بول ريكور: الذات عينها كالآخر, تر: جورج زيناتي, المنظمة العربية للترجمة, بيروت ط1, 2005

-هارلبمس وهولبورن: سوسيولوجيا الثقافة والهوية, تر: حاتم حميد محسن, دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع, دمشق,ط1, 2010

-المعاجم:

-الجرجاني: كناب التعريفات, دار الكتب العلمية, بيروت, دط, 1995

-جميل صليبا: المعجم الفلسفي, ج2, دار الكتاب اللبناني, بيروت, دط, 1982

-الخليل بن أحمد الفراهيدي, كتاب العين, ج4, دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 2003

-شعبان عبد العاطي: معجم الوسيط, مكتبة الشروق الدولية, مصر, ط1, 2004

-لطفي عبد العزيز الشربيني: معجم مصطلحات الطب النفسي, مؤسسة الكويت للتقدم العلمي, مركز تعريب العلوم الصحية, دط, دت

-ابن منظور: لسان العرب, ج15, ا.خالد رشيد القاضي, دار الصلح, ايديسوفت, بيروت ط1, 2006

المجلات:

-جميلة قيسمون: الشخصية في القصة, مجلة العلوم الإنسانية, ع13, جوان2000

-حاتم زيدان: العيد جلولي, جمالية المراوغة والتوظيف الضمائري للأنا والآخر عبر اللغة الشعرية, دراسة قصائد مختارة من ديوان مسقط قلبي لسمية محنش, مجلة الأثر, ع29 2017

-زليخة جديدي: الاغتراب, مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية, ع8, جوان2012

-ساجدة مراد اسكندر: الاغتراب وعلاقته بالهوية الوطنية لدى طلبة الجامعة, مجلة كلية التربية, ع2, 2016

-سامي الوافي: المثاقفة النقدية وسؤال الهوية, تفاعل الذات بالآخر, مجلة الآداب, ع2 2014

-صالح سعد: الأنا والأخر, مجلة عالم المعرفة, ع274, جانفي1978

-عبد المالك مرتاض: أصالة الشخصية الجزائرية, مجلة الأصالة, وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية, ع8, ماي-جوان1972

-محمد عبد الرضا شياع: اللغة هوية أم ثقافة جدلية العلاقة بين الذات والآخر, مجلة الكوفة ع4, 2013

-نصر الدين محمد: الشخصية في العمل الروائي, مجلة الفيصل, ع37, جوان1980

-الموسوعات:

-أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية, تعريب, أحمد خليل, مج1, منشورات عويدات بيروت, ط2, 2001

-محمد منير حجاب: الموسوعة الإعلامية, دار الفجر للنشر والتوزيع, القاهرة, ط2, 2003

-الرسائل الجامعية:

-حميد عبد المجيد البطاط: جدلية الذات والآخر في شعر السجون, العصرين الأموي والعباسي, أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه, كلية الآداب, جامعة البصرة, 2011

المقالات:

-عامر عبد زيد الوائلي: الدين والهوية بين ضيق الانتماء وسعة الإبداع, سلسلة ملفات بحثية مؤمنون بلا حدود, الرباط, 2016

-فارس لونيس: سياسات الهوية وأثرها على الاستقرار والمواطنة بين أل"هم" وال"نحن", أعمال المؤتمر الدولي الثامن, التنوع الثقافي, طرابلس, ماي2015

-فريدة شهرستاني: صلة اللهجات المعاصرة بالفصحى وأثرها فيها, ع 11, فصيلة دراسات الأدب, سنة ثالثة

-نزيهة الخليفي: الاغتراب ومتاهة في رواية تعويدة العيفة لتوفيق العلوي, تونس

المواقع الالكترونية:

-حسن عالي: الهوية ودورها في البناء www . Swmsa.net

-الشريف كرمة: اللغة العربية وعلاقتها بالهويةwww.annales.univ.mosta.dz

ك ف ح ب	ك ح ع ئ م
أ	ق خ ل ب
الفصل الأول: ضبط المفاهيم	
1	**المبحث الأول: الهوية**
1	**1-** مفهوم الهوية/لغة
3	**2-**مفهوم الهوية/اصطلاحا
6	**المبحث الثاني: رحلة البحث عن الهوية بين الذات والآخر**
7	**1-** الذات
8	**2-** الآخر
12	**المبحث الثالث: مكونات الهوية**
14	**1-**الدين(الهوية الدينية)
16	**2-**اللغة(الهوية اللغوية)
19	**3-**الثقافة(الهوية الثقافية)

4-التاريخ(الهوية التاريخية)	**22**
المبحث الرابع: بين الهوية و الاغتراب	**24**
الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية عائد إلى قبري	
تمهيد	**27**
تجليات الهوية من خلال الشخصيات	**28**
1-الشخصيات الرئيسية	**29**
2-الشخصيات الثانوية	**37**
المكان انتماء هوياتي	**41**
أولا:الوطن(الجزائر)	**43**
1-القرية	**44**
2-الشارع	**46**
ثانيا:غربة المكان(العراق)	**48**
شارع الرشيد	**50**
علاقة الهوية بالاغتراب	**51**
تقاطع التاريخ مع الهوية في رواية عائد إلى قبري	**57**
1- التراث	**58**

2- الشخصيات و الأمكنة التاريخية	**62**
ا-شخصية هارون الرشيد و الحجاج	**62**
ب-الأندلس	**63**
خاتمة	**66**
ملحق	**68**
ملخص الرواية	**68**
السيرة الذاتية للكاتبة	**69**
قائمة المصادر و المراجع	**71**
فهرس	**76**
ملخص	**81**

الكلمات المفتاحية:

الهوية, الأنا والآخر, هوية المكان, الاغتراب, التاريخ

ملخص

إشكالية الهوية ليست وليدة اللحظة فهي من أعقد المشكلات التي تواجه الكثير من الشعوب والمجتمعات قديما أو في العصر الراهن ولأن الرواية من أقدر الفنون على احتواء ونقل معاناة الشعب فقد استطاع الكثير من الباحثين نقل هذه الإشكالية

كان هذا البحث (العمل) محاولة منا لتبيين إشكالية الهوية وتمضهراتها في رواية عائد إلى قبري لزكية علال حيث كشفت الرواية عن أزمة الهوية في حقبتين قاسيتين من تاريخ الجزائر والعراق

فتطرقنا فيه إلى الصراع الداخلي الذي أدى إلى تأزم الهوية الذاتية عند الكثير من الشخصيات في الرواية وما تخلفه هذه الأزمة(أزمة الهوية) وأسئلتها من اغتراب بمختلف أنواعه, كما حاولنا أن نخرج بالمفهوم الضيق للهوية المنحصر في خصائص تفرد الشخص إلى مفهوم أوسع يشتمل المكان والتاريخ والاغتراب

Résumé

La problématique de l'identité ne date pas d'hier, elle a toujours été, anciennement comme actuellement, l'un des épineux problèmes aux quels font face les peuples et sociétés. Beaucoup de chercheurs ont réussi à la cerner grâce au roman vu qu'il est, par excellence, un art capable de refléter et transmettre la souffrance des peuples.

Dans ce présent travail de recherche, nous avons tenté de mettre en lumière la problématique de l'identité et ses différentes formes dans

Le roman « revenant à ma tombe » de l'identité et ses différentes formes dans le roman « revenant à ma tombe » de l'écrivaine Kbril Zkya,allal.En effet, ce roman a révélé la crise identitaire dans deux rudes époques de l'histoire algérienne et irakienne.

Nous avons abordé précisément le sujet de la lutte intestine qui a provoqué une crise identitaire chez beaucoup de personnages du roman. Nous avons également mes l'accent sur les complications de cette crise « identitaire et son impact sur l'étrangeté sous toutes ses formes. Nous avons essayé finalement d'aboutir à un concept plus large sur l'identité qui comprendra le temps, le lieu et l'étrangeté.